حسن القزويني

الشمس تشرق من المغرب

تجارب داعية
في الولايات المتحدة الأميركية





المركز الإسلامي في أميركا

الشمس تشرق من المغرب

تجارب داعية في الولايات المتحدة الأمريكية



المركز الإسلامي في أميركا

Islamic Center of America

19500 Ford Road

Dearborn, MI 48128

U.S.A

هاتف 5930000 - 313

فاكس 2710459 - 313

الشمس تشرق من المغرب

تجارب داعية في الولايات المتحدة الأميركية

تأليف
حسن القزويني

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

المركز الإسلامي في أميركا

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م





للطباعة والنشر والتوزيع

بئر العبد ـ مدخل مدرسة حارة حريك الرسمية الثانية ـ بناية فوعاني ـ الطابق الأول

ص.ب: ١١ـ ٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠ـ ١١٠٧ ـ هاتف: (٠٣/٥١٤٩٠٥) ـ تلفاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان

الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com

E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله والصلاة علىٰ محمّد قائد الأبرار وآله سادة الأخيار، وبعد:

فقد كتب المستشرقون الغربيون مئات الكتب والأبحاث عن الإسلام والمجتمعات الإسلاميّة على مدى قرون، وقد أصبحت هذه الكتب مصدراً للكثير من التصورات الغربية القائمة عن المجتمعات الإسلامية، لا بل أصبحت ملهماً للكثير من القرارات السياسيّة التي يتخذها زعماء الغرب، فيما يخص العلاقة بالمجتمعات الإسلاميّة.

وقد وقع بين يدي كتابُ قبل أيام اكببت علىٰ مطالعته بعنوان (ما الخطأ الذي حدث؟ الصراع بين الإسلام والمدنية في الشرق الأوسط)، للكاتب والمستشرق الاميركي د. برنارد لويس. ولويس هذا يهودي، من كبار منظري حركة المحافظين الجدد التي تركت بصماتها الكبرىٰ على فترة حكم الرئيس جورج بوش الاولىٰ (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٤) والتي عرفت بالحرب الاستباقية على الارهاب.

ورغم وجود العدد الهائل من الكتب التي كتبت في الغرب عن الإسلام والمجتمعات الإسلاميّة، الا أن ما كتب في الشرق عن الغرب والمجتمعات الغربية لا يعدو النزر اليسير، وتبقىٰ هناك فجوة كبيرة غير قابلة للمقارنة.

وهذه سطور فكّرت ملياً قبل كتابتها، اذ كان قد خطر علىٰ بالي ان الخّص تجربتي في العمل والنشاط الاسلامي في الولايات والتي امتدت حتى الآن لستة

عشر عاماً، ان الخّصها في كتاب يقدم للقارئ الكريم فكرة عامّة عن الإسلام والمسلمين في الغرب عموماً، وفي الولايات المتّحدة الأميركية تحديداً.

وهدفي من كتابة هذه السطور هو عرض تجربتي المتواضعة في الدعوة الإسلاميّة في الغرب للقارئ العزيز، وليس التباهي او الاستعراض، معاذ الله، وايضاً لكي يتيسر للكثير من العلماء والمبلّغين الطامحين للعمل الاسلامي في الغرب معرفة الظروف الموضوعيّة للدعوة الإسلاميّة في الغرب، ولأوفّر لهؤلاء «رؤية» واضحة عما ينتظرهم من عقبات، وتحدّيات، واحباطات الى جانب ما سيلاقونه من لمحات تبعث الأمل في النفس وتعد بمستقبل واعد للاسلام في هذا العالم الجديد.

وانا هنا لا ادّعي الكمال لتجربتي في العمل الاسلامي في الغرب ولا اراها الأفضل او الأكمل، لكني بذلت قصارىٰ جهدي لتكون هذه التجربة معبراً قدر الامكان عن واقع عشته في الولايات المتّحدة ولمسته، فأردت أن اعكسه بأكبر قدر من الموضوعيّة والتجرّد.

وآمل من القارئ الكريم ان يغفر لي ما يجد من شطحات وزلّات في هذا الكتاب.

وأودّ أن ألفت نظر القارئ الكريم الىٰ انّني لم احاول، من خلال ما طرحته من رؤىٰ وأفكار، محاباة أحد من الناس، ولا معاداة أحد منهم، فكتبت في هذه السطور ما أملاه عليَّ ضميري من خلال الواقع الذي عشته، ولم يكن هدفي ارضاء أحد سوى الله سبحانه، الذي آمل أن يتقبل عملي وعمل إخوتي العاملين في الغرب، وان يجعل ذلك في ميزان أعمالنا في الآخرة.

وأخيراً، فان املي أن يسهم هذا الكتاب في سد فراغ كانت تشكوه المكتبة العربيّة، من خلال تقديم تجربة تسهم في كشف جوانب من الحقيقة عن المجتمع

الغربي يجهل القارئ العربي الكثير عنها، بينما يرتبط مصير القارئ العربي في كثير من الاحيان بما تقرره بعض هذه المجتمعات الغربيّة لنا كعرب ومسلمين، وما تمليه علينا من سياسات أصبحت مجتمعاتنا العربيّة اسيرة لها، ولسياساتها.

حسن القزويني
٢٢ / ٥ / ٢٠٠٨
ديترويت ـ الولايات المتحدة الأميركية

المدخل

لقد دخل الإسلام الولايات المتّحدة مرّتين، مرّة حينما جلب المستوطنون الأوائل للقارة الامريكيّة آلاف السود من القارة الأفريقية كرقيق، للعمل والسخرة في الأرض الجديدة. وكان بين هؤلاء الرقيق الذين جيئ بهم جميعهم قسراً إلى أرض العالم الجديد، مسلمون، ولكن قسوة المستوطن الأبيض وعدم قبوله لاي دين آخر غير المسيحية، منعت هؤلاء الرقيق من ممارسة دينهم، وبالتالي تخلىٰ أكثرهم أو جلهم عن دينهم، خاصّة وأنهم أصبحوا رقيقاً لا يملكون من أمرهم شيئاً. وأصبحوا شيئاً فشيئاً مسيحيين، على دين أسيادهم الذين ساموهم الخسف والذل والهوان.

ومع تحول هؤلاء إلى المسيحية، ذهب أي اثر للإسلام، ولم يبق منه شيئ. ثمّ، وفي اواخر القرن التاسع عشر بدأت طلائع المسلمين المهاجرين تصل إلى الولايات المتحدة، بحثاً عن أرض جديدة، وحياة أفضل.

ولكن الهجرة الحقيقية للمسلمين إلى الولايات المتحدة لم تبدأ حتى أوائل القرن العشرين حين قام الصناعي الامريكي هنري فورد بافتتاح معامل السيارات في مدينة ديترويت في العام ١٩٠٣. وبما ان هذه المعامل كانت تبحث عن أيد عاملة رخيصة، فقد بدأت موجات الهجرة الأولى تتوافد إلى هذه المنطقة في الولايات المتحدة ليستقر المسلمون في ضاحية من ضواحي ديترويت، وهي

مدينة ديربورن، حيث يقع مقر شركة فورد العالمية للسيارات، هذه الشركة العملاقة التي تنتج اليوم ملايين السيارات سنوياً وتزيد ميزانيتها وثروتها على ثروة المملكة العربية السعودية. وبدأت طلائع المهاجرين تصل من بلدان الشرق الأوسط كسورية واليمن وتحديداً لبنان..

وفي اواسط القرن العشرين كان عدد ابناء الجالية في ديترويت يقدر بثلاثة الاف شخص وكانت الجالية تعاني من عدم وجود مؤسسات اسلاميّة تقدم الرعاية الروحية والدينية لأبناءها. ولم يكن هناك حتى علماء دين يشرفون على برامج دينية كانت الجالية بأمس الحاجة اليها، ويقدمون المواعظ الدينية التي تحفظ أبناء المسلمين من الضياع.

ومع هذا فقد تصدى للتوعية الدينية، وتقديم الخدمات في الشئون الدينية، من عقد قران وطلاق وصلاة على الميت، رجل دين محدود الاطلاع ولكنه عرف بالتقى والتواضع والصلاح وهو المرحوم الشيخ خليل بزي. ورغم ان الشيخ بزي لم يكن يتقاضىٰ اجراً لقاء الخدمات الدينية التي كان يقدمها لابناء الجالية، إذ كان يعيش من كديده وعرق جبينه. حيث كان يمتلك سيارة قديمة يبيع فيها الخضراوات والفواكه ويعتاش هو واسرته من هذا الأسلوب.

ولقد روى لي صديق، ان بعض المحسنين من ابناء الجالية أرادوا ـ وتقديراً منهم لجهود الشيخ بزي في خدمة الجالية ـ ان يشتروا له سيارة جديدة ليعتاش منها، بعد ان اصبحت السيارة القديمة التي كانت يمتلكها غير قادرة على اداء مهامها، فقاموا بشراء السيارة الجديدة وايصالها إلى بيته، ولأنه كان غائباً عن البيت فقد سلموا مفتاح السيارة لزوجته، وما أن عاد الشيخ بزي إلى المنزل حتّى أخذ يلوم زوجته على قبول السيارة وأخبرها أنّه إما أن يستعيد المتبرعون

سيارتهم أو يقوم الشيخ بطلاق زوجته التي رضيت باستلام مفاتيح السيارة، فما كان من زوجة الشيخ خليل بزي إلّا ان اتصلت بهؤلاء المحسنين واعلمتهم الحال، فجاءوا واستعادوا السيارة المهداة للشيخ البزي.

وفي العام ١٩٤٩ وصل إلى الولايات المتحدة من لبنان رجل دين آخر وهو المرحوم العلّامة الشيخ محمّد جواد الشرّي والذي كان له طموح كبير في بث الوعي الديني بين ابناء الجالية، وارشادهم وهدايتهم....وفي البداية وبسبب عدم تمكن الشيخ الشري من التحدث بالانكليزية من جهة، وضعف امكانات الجالية المادية، لم يتمكن الشيخ الشري من البقاء طويلاً بين ظهراني ابناء الجالية المسلمة في ديترويت، مما دفعه إلى الانتقال إلى مدينة ميشغن سيتي في ولاية انديانا، والانقطاع كلياً عن الناس، والانشغال بتعلم اللغة الإنكليزية، وبعد ان اتقن الشيخ الشري اللغة الانكليزية بعد ثلاث سنوات عاد إلى ديترويت ليلتف حوله الجمهور طالبين منه البقاء إلى جانبهم.

وبإرادة فولاذية، وبمساعدة من الرئيس المصري انذاك جمال عبد الناصر الذي اهداه مبلغ اربعين الف دولار تمكن من شراء قطعة أرض ليقيم عليها أوّل مركز إسلامي شيعي في الولايات المتحدة الذي اكتمل بناؤه في العام ١٩٦٣.

وخلال فترة امتدت لقرابة نصف قرن (١٩٤٩ ـ ١٩٩٤) كان الشيخ محمّد جواد الشري هو رجل الدين الابرز في ديترويت، وكان أيضاً يعتبر الأب الروحي للجالية المسلمة هناك وقدّم خدمات جلى للإسلام ليس فقط من خلال تأسيسه للمركز الإسلامي وإنما كتبه التي كتبها، ليعرّف من خلالها القارئ الغربي بالإسلام وكان من أهمها كتاب **[Inquiries about Islam]** «تساؤلات حول الإسلام».

ولقد بلغت ذروة الهجرة الإسلاميّة إلى ديترويت اثناء الحرب الاهلية في

لبنان (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠) حيث توافد الالاف من اللبنانيين إلى هذه المنطقة. وبعد ان كان المركز الإسلامي في امريكا الذي اسسّسه الشيخ محمّد جواد الشري المؤسسة الإسلامية الوحيدة العاملة في هذه المنطقة إلى جانب مايعرف بمسجد ديكس للجالية اليمنية، بدأت العديد من المراكز الإسلاميّة بالظهور والعمل في ساحة الجالية. فقد تأسس المجمع الإسلامي في العام ١٩٨١ والمجلس الإسلامي في ١٩٨٤ ودار الحكمة الإسلاميّة في ١٩٩٥ ومركز كربلاء الإسلامي في ١٩٩٦.

وفي العام ١٩٩٧ قمت بالانتقال إلى ولاية ميشغن بعد ان طلب اعضاء هيئة الادارة في المركز الإسلامي ـ وذلك على اثر الفراغ الذي احدثه وفاة الشيخ محمّد جواد شري ـ طلبوا مني ان اتولى مهمة الارشاد الديني في المركز الإسلامي في امريكا. فاستجبت لطلبهم وقمت بمهام عملي كإمام للمركز الإسلامي، ونظراً لتزايد النشاط والعمل الإسلامي في المركز، وأيضاً نتيجة لتزايد اعداد ابناء الجالية سواء الوافدين منهم او المتولدين في الولايات المتحدة، قررنا بناء اكبر مركز إسلامي في الولايات المتحدة في ولاية ميشغن، وتحديداً في ضاحية ديربورن، إحدىٰ ضواحي ديترويت، حيث تم افتتاحه في ايار ٢٠٠٥ وكان يوماً مشهوداً حضره المئات من الضيوف والرسميين والصحفيين... ويقدر اليوم عدد المسلمين في ولاية ميشغن بما يزيد على ٣٥٠ الف مسلم. ورغم هذا الرقم الكبير إلّا ان ولاية كاليفورنيا هي الولاية التي يقطنها اليوم اكبر عدد من المسلمين في الولايات المتحدة.

ويقدر عدد المسلمين في ولاية كاليفورنيا بما يقرب المليون. ورغم ان الوجود الإسلامي في ولاية كاليفورنيا ليس بقدم الوجود الإسلامي في ولاية مشيغن إلّا ان الولاية تضم اليوم عشرات المراكز الإسلاميّة، ومن اهمها المراكز

الإسلاميّة التي اسسها آية الله السيّد مرتضى القـزويني والذي يـعد رائـد العـمل الإسلامي في ولاية كاليفورنيا. لقد هاجر السيّد القزويني إلى الولايات المتحدة في العام ١٩٨٦. وفي خلال فترة قصيرة تمكن من تأسيس عدد من المراكز الإسلامية في مدينة لوس انجلس. ففي العام ١٩٩١ اسس مركز الزهـراء عليها السلام الإسـلامي في مـنطقة سـاوث غـيت [South Gate] وفي العـام ١٩٩٥ اسس مـركز الإمـام الصادق عليه السلام الاسلامي واكاديمية مدينة العلم الاسـلامية (وهـي اكـاديمية تـضم الصفوف الابتدائية وحتى الثانوية) في منطقة بـومونا [Pomona]. كـما اسس في العام ١٩٩٤ مركز الإمام عليّ عليه السلام في مدينة سان دييغو.

أهميّة الدعوة في الغرب

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]

ان الدعوة إلى الإسلام هي من أهم الوظائف التي انيطت بالمسلمين، ولاشك ان العمل الدعوي للإسلام إذا كان خالصاً لايراد به غير وجه الله، يعد من أعظم القربات، ومن أكبر الحسنات في ميزان المسلم يوم القيامة.

لقد جاء في الحديث ان النبيّ ﷺ حين أرسل عليّاً عليه السلام لفتح خيبر قال له: **«يا عليّ لا تقاتلنَّ أحداً حتىٰ تدعوه، وأيم الله لان يهدي الله علىٰ يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي»**[2].

والواقع فان هداية الناس إلى الإسلام هي في الحقيقة هدايتهم من الضلال إلى الهدىٰ ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

وهداية الناس إلى النور إنما هو إحياء لهم ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[4].

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) الكافي للكليني ج ٥ ص٢٨ باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح ٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣٢.

والحديث التالي يكشف أهمية الدعوة ونشر الإسلام في بلاد غير المسلمين:
عن عمّار السمندي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام اني أدخل بلاد الشرك وان من عندنا يقولون ان متّ ثمَّ حشرت معهم قال فقال لي إذا كنت ثمّ تذكر أمرنا وتدعو إليه؟ قال قلت نعم قال فإذا كنت في هذه المدن (أي مدن الإسلام) تذكر أمرنا وتدعو إليه؟ قال قلت لا فقال لي انك ان تمت ثمّ تحشر امةً وحدك ويسعى نورك بين يديك[١].

ولاشك ان دور العالم والواعظ الديني لايقل عن دور جيش بكامله. فإذا كانت مهمة الجيوش حفظ البلاد من الأعداء وصون كرامة الوطن والذود عن حياضه، فان العالم الديني وخصوصاً في بلاد الاغتراب يقوم بحفظ عقائد الناس، والحيلولة دون ذوبانهم في مجتمعات غير إسلامية، وربطهم بدينهم وعقيدتهم، ويقربهم من الله عَزّ وجَلّ، ويفقههم بدينهم ويرد على ما انتشر من البدع بين الناس ويحل لهم ماأشكل عليهم من أمر دينهم، ويجيب على تساؤلاتهم.

ولم يكن عبثاً تعظيم الإسلام مثل هذا العالم. يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**فضل العالم على العابد سبعين درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاماً، وذلك أن الشيطان يدع البدعة للناس فيبصرها العالم فينهى عنها والعابد مقبل على عبادته لايتوجه لها ولايعرفها**»[٢].

بل جاء في بعض الأحاديث عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال: «**عالم ينتفع بعلمه افضل من عبادة سبعين ألف عابد**»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة ج١١ ص٧٧.
(٢) ميزان الحكمة ج٦ ص٤٦٠.
(٣) ميزان الحكمة ج٦ ص٤٥٩.

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام انه قال عليه السلام: «يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤنتك فأدخل الجنّة، إلّا ان الفقيه من أفاض على الناس خيره وانقذهم من اعداءهم ...ويقال للفقيه: ياأيها الكافل لايتام آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، الهادي لضعفاء محبّيهم ومواليهم، قف حتى تشفع لمن اخذ عنك أو تعلم منك[1]».

وورد ايضاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «والذي نفس محمّد بيده لعالم واحد اشد على ابليس من الف عابد، لأن العابد لنفسه والعالم لغيره ...»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

جيل الضياع

وبسبب عدم وجود العلماء والواعظين سابقاً فقد ضـاع الالاف مـن ابـناء المسلمين وبناتهم في بلاد الغرب، وذابوا في الثقافة الغربية المسيحية، وتحول الكثير منهم عن الإسلام إلى المسيحية، وغيروا اسمائـهم الإسـلاميّة إلى اسماء مسـيحية غربية، فعلى سبيل المثال علي يصبح اليكس **Alex** ومحـمّد يـصبح مـايك **Mike** وعيسى يصبح جيم **Jim** ورضا يـصبح راي **Ray** وفـائز يـصبح فـرانك **Frank** وعماد يصبح إدوارد **Ed** وهكذا...

واتذكر اني دعيت ذات مرّة لأداء صلاة الجنازة على امرأة مسلمة في مدينة نائية في ولاية انديانا تسمى (ميشغن سيتي)، والمدينة تضم جالية مسلمة قـديمة ومسجداً ولكن ينقصها وجود رجال الدين والعلماء، وبما أنه لم يكـن هـناك مـن يصلي على الجنازة اضطررت للسفر إلى هذه المدينة للصلاة على الميت.

ولقد لفت انتباهي عند دخولي للمسجد، تبرج النساء بشكل فاضح حتّى ظننت اني اَخطأت الدخول إلى المسجد بالدخول إلى محل آخر، لكن مرافقي اكد لي انني في المسجد، ثمّ بدأت المراسيم وقام ابن الفقيدة وهو مـن مـواليـد الولايـات المتحدة بتأبين والدته، وبدل الافتتاح بالبسملة وجـدته يـفتتح كـلمته بـالعبارة التالية:

إنني بروفسور ادرس في الجامعة، ومهنتي الحديث والخطابة، ورغم أنـني متحدث قدير إلّا انني اجد اليوم نفسي لديّ مشاعر متضاربة وخليط من مشاعر الحزن والفرح... اما حزني فلوفاة والدتي كما تعلمون، واما سبب فرحـي، فـلأنّ

اليوم يصادف عيد ميلاد زوجتي ..!

ثمّ أخذ هذا البرفسور يروي النكات المضحكة ـ على الطريقة الامريكية ـ عن والدته واخذ الجمهور يضج بالضحك!

تأثرت لما رأيت، ولما جاء دوري تحدثت وقلت ان هذه ليست بساعة ضحك وإنّما هي ساعة تأمل وتفكر، فكل واحد منا ينتظره هذا المصير ولابد لنا من التأمل والتأهب لما سيحل بنا في مثل هذا اليوم!

وجدت ان البعض أطرق برأسه، ثمّ لما حان وقت صلاة الميت وجدت نفسي ومرافقي الذي قدم معي من ديترويت فقط نقيم الصلاة، والبقية وقفوا متفرجين لما نقوم به.....!

ثمّ توجهنا نحو الجبانه لأقوم بتلقين الميت ـ وهي كما ذكرت سيدة مسلمة لبنانية الاصل تزوجت وانشأت ابناءها في الولايات المتحدة ـ واكتشفت هناك ان القبر ليس باتجاه القبلة، وكلما حاولت ان الفت انتباه ابناءها إلى عدم جواز ذلك، إلّا انهم ظلوا يتغاضون عن الأمر، وأمام اصراري الشديد على عدم دفن الام في قبر غير موجّه نحو القبلة، انفجرت ابنتها صارخة: ايها السيّد! ان الله في شغل عن أمر قبر امنا ولايهمه ما إذا تم دفنها باتجاه القبلة أو بخلافها!! (استغفر الله)!

وهنا ـ ولأن التلقين مستحب وليس واجب ولأني لم اشأ ان اظهر بمظهر من يتواطأ في دفن المسلم خلاف القبلة ـ قررت الانسحاب والعودة إلى ديترويت!

وهذا نموذج بسيط على ضياع اجيال عاشت غياب الثقافة والتربية الاسلامية، والسبب الرئيس يعود إلى عدم وجود علماء ومرشدين اكفاء في هذه المنطقة من الولايات المتحدة يقومون بارشاد الناس وتوجيههم!

ان الامريكيين غالباً ما يستعملون تعبير «البوتقة الصاهرة» للاشارة إلى

بلدهم الذي تذوب فيه الثقافات واللغات على حساب الثقافة ونمط الحياة الامريكية، وحقاً انهابوتقة صاهرة تصهر جميع الثقافات والعقائد لمصلحة التقاليد والعقائد الامريكية.

واتذكر ايضاً مرّة ان سيدة مسلمة وعلى اثر سماع موعظة كنت القيتها في دروس الحج بضرورة تطهير الانسان مابذمته من حقوق الناس قبل التوجه إلى بيت الله الحرام، اقبلت اليّ وسلمتني سواراً من ذهب قالت انها وحين كانت صغيرة سرقته من امرأة اخرىٰ وهي اليوم تريد اعادة السوار إلى صاحبته عن طريقي فوافقت على ذلك، واتصلت بالسيدة المسروق منها واخبرتها عبر التلفون بأن لديها غرضاً عندي بأمكانها ان تأتي لقبضه، وفي اليوم التالي دخلت عليّ امرأة في أواخر الخمسينات من عمرها مع رجل يقاربها في العمر افترضت انهُ زوجها واخبرتني انها هي صاحبة السوار. وبعد ان ناولتها السوار شكرتني وخرجت، وما ان مضت لحظات حتى عادت اليّ مع الرجل ذاته. وقفت بباب الغرفة وقالت: ان هذا الرجل زوجي ولي منه ثمان أولاد وسبع أحفاد ومضى على زواجنا معاً ٢٨ سنة ولكننا لم نتزوج (لم نعقد قراناً) حتى الآن! وبما اننا جئنا الآن إلى المسجد فقد فكرت أنا وزوجي ان تعقد قراننا أيضاً!!!

فتعجبت كثيراً وقلت لها: ما الذي جعلك تنتظرين كلّ هذه الفترة الطويلة لتعقدي قرانك مع هذا الرجل؟ قالت: أنت تعلم اننا نعيش في بلاد غير اسلامية ولم يوجد في السابق مشايخ وعلماء ولم أعرف أهمية العقد!

وكنت في السابق حين اقرأ قصة عبد الله بن جحش زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ـ والتي تزوجها النبيّ ﷺ بعد إرتداده ـ وكيف انه هاجر بدينه إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فاراً من بطش قريش وارهابها، ثمّ ارتداده عن

الإسلام واعتناقه المسيحية ومعاقرته الخمر في الحبشة، كنت اقرأ كل هذا واجد صعوبة في قبوله وتصديقه، إذ كيف يعقل لرجل اسلم ودخل نور الإسلام في قلبه ان يرتد عن الاسلام ويعتنق المسيحية؟ ولكني مذ هاجرت إلى هذه البلاد وجدت هذه النماذج تكرر ـ وللأسف الشديد ـ بين المسلمين، وهم في الاغلب مسلمون سذج لم تكن لديهم رابطة قوية بدينهم، وكان التزامهم بالدين سطحياً ممّا جعل انزلاقهم في مهاوي الانحراف والارتداد امراً ليس بالصعب.

واني قد اعتدت أن اسمّي هؤلاء بـ «مسلمي الحمص» إذ ان الرابط الوحيد الذي يربط هؤلاء بدينهم وعقيدتهم وتراثهم هو حبهم لاكل «الحمص بطحينة»!!

اتذكر ذات مرة وانا الج المصعد في احدى البنايات إذ التق بي شاب، ولما رأى زيي مع العمة سألني ان كنت مسلماً، فأجبت بالايجاب وسألته بدوري ان كان هو مسلماً فأجابني بالقول وهو جاد في الكلام: ابي كان مسلماً وكذا كان جدي واما أنا فلا اعرف عن الاسلام إلّا الحمص!! فانفجرت بالضحك وقلت له: لم اكن اعلم ان الحمص هو من اصول الدين في الاسلام حتى هذه اللحظة!!

وهذا نموذج اخر على ذوبان بعض المسلمين في المجتمع الغربي في السابق وتأثرهم بالعادات والتقاليد السائدة.

صادف ذات مرّة ان دعاني رجل مسلم كبير السن إلى بيته لتناول طعام الافطار ـ وكان الوقت في شهر رمضان ـ وبينا كنت اتناول معه الطعام سألته عن عمله فأخبرني انه بائع خمور وانه مضى عليه في هذه المهنة أكثر من خمسين عاماً! اشمئزت نفسي عند ذلك وفقدت الشهية لتناول الطعام وسألته عن السبب الذي دفعه لاختيار هذه المهنة فقال: انها الظروف!

وجاءت ابنته لتقدم لنا الشاي فأقترح الاب ان اسألها عن مهنتها ولما سألتها

اجابت بكل فخر واعتزاز انها ممرضة قطط!

فأخذ الاب يهزأ باعتزاز ابنته بهذه المهنة السخيفة على حد رأيه! فالتفت اليه وقلت له: على كل فان مهنتها تبقى أفضل من مهنته هو؛ إذ لا تنطوي على معصية لله!

وصادف ان توفي هذا الرجل وطلب مني ان اصلي عليه فترددت قليلاً وسبب ترددي انني لم اشأ ان أقول في صلاة الميت العبارة المعتادة «اللهم إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً وأنت اعلم به منا» لعلمي انه قضى عمره يتاجر بالخمر وكان بجانبي صديق ورأى ترددي ولما علم السبب قال: ـ ملاطفاً ـ يمكنك ان تقول بدل: «اللهم إنا لا نعلم منه إلّا خيراً» ان تقول: «اللهم إنا لا نعلم منه إلّا خمرا»!!

والنماذج على ذوبان بعض المسلمين في الحضارة الغربية المسيحية كثيرة اكتفي بهذا القدر منها، ولعلي سأسرد بعض النماذج الاخرىٰ عند الحديث عن عوامل الدعوة الإسلامية، فانتظر!

الفَصلُ الأَوَّلُ

لماذا الدعوة الإسلاميّة في الغرب؟

* الإسلام دين المنطق والعقل
* خواء المسيحية
* تفكك المجتمع الغربي
* التسامح والحريات المتاحة

الإسلام دين المنطق والعقل

ان الاسلام هو دين المنطق والعقل. وفي حين تؤمن المسيحية ان لاعلاقة بين الايمان والعقل، يرى الإسلام ان العقل هو الاساس لاثبات وجود الصانع وحكمته وعدله، ويحث القرآن المسلمين على استنهاض عقولهم والتفكر في آيات الله:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[1]. ثمّ يصف المؤمنين بأنهم مفكرون، يأخذهم التفكير في آيات الله كل مأخذ:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2].

ثمّ يصف القرآن الكريم المتمعن في آيات الله بما يلي: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3] ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[4] ﴿كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[5] ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[6] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) سورة الروم: الآية ٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٠ و ١٩١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٢٦.

يَـتَفَكَّرُونَ﴾[١] ﴿إِنَّ فِـي ذَلِكَ لآيَـاتٍ لِّـقَوْمٍ يَـعْقِلُونَ﴾[٢] ﴿إِنَّ فِـي ذَلِكَ لآيَـاتٍ لِأُوْلِـي النُّهَى﴾[٣]، ثمّ يقسم القرآن الكريم بعظمة العقل فيقول: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْـرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[٤].

وقد اكد العلماء المسلمون على حرمة التقليد في اصـول الديـن، إذ التـقليد لايكون إلّا في الفروع لا في الاصول، إذ يجب على كل مسلم ومسلمة ان يستنبط اصول دينه وهو الايمان بالله عَزّ وجَلّ وعدالتـه والنـبوة والإمـامة والمـعاد كـلها باجتهاد وتفكر منه، لا بالتقليد والتبعية للاخرين، ولو قلّد الاخرين لا عن معرفة واجتهاد، فهذا تقليد باطل مرفوض.

ثمّ ان الاسلام والعلم متساوقان، لاتناقض بينهما، فأنت لاتجـد في القـرآن الكريم ما يصطدم مع العقل أو الفطرة، بل ان العلم يعضد القرآن ويؤكد حـقائقه، وللمسلمين تراث زاخر باحترام العلم والعـلماء والاشـادة بمكـانتهم حـتى يـقول القرآن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٥] ويقول سبحانه ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٦] بينما نجد في تأريخ الكنيسة، تاريخاً حافلاً بـاضطهاد العلماء والباحثين بحجّة ان العلم يصطدم مع الإيمان....وحين اعلن العالم الايطالي غاليلو غاليلي عن نظريته التي اصطدمت مع ماكانت تعتقده الكنيسة انذاك وهي ان

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤.

(٣) سورة طه: الآية ١٢٨.

(٤) سورة الفجر: الآيات ١ ـ ٥.

(٥) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٦) سورة الزمر: الآية ٩.

الأرض هي التي تدور حول الشمس وليس العكس، تمّ معاقبته من قبل الكنيسة وامام الملأ، وطُلب منه ان يعتذر عن الهرطقة. " لكن سلطات الكنيسة اخذت تلاحق غاليلو بسبب اعتقاداته وموقفه مع نظرية كوبرنيكس. وبعد اخذ ورد ومحاكمات من قبل محاكم التفتيش حكم عليه ان يشجب امام الجمهور وجهة نظره وهي ان الأرض تدور حول الشمس وقد قام العالم البالغ من العمر ٦٩ عاماً بهذا التصريح امام الجمهور ولكنه كما تقول القصة نظر إلى الأرض و همس بنعومة (لكنها لاتزال تدور) "[١].

وبالاضافة إلى كون الاسلام دين المنطق والعقل فهو دين التكامل ....واعني بهذا ان الاسلام وحدة متكاملة ونظام حياة، يبدأ مع الانسان منذ الولادة وينتهي معه عند الموت. فمنذ ان يأتي الانسان إلى هذه الحياة هناك تشريعات في الاسلام تعنى به وإلى ان يموت. وكذا، هي معه اينما ذهب بل حتى حين يلج بيت الخلاء فهناك تعليمات توضح له كيفية التصرف عند الدخول والخروج، وكذا منذ ان يستيقظ من النوم صباحاً وحتّى المساء حين يخلد إلى النوم، فالاسلام يعيش مع الانسان كل لحظة من لحظات حياته وكل ساعة وكل يوم، بينما في المسيحية مثلاً لاتجد المسيحي يمارس دينه إلّا مرّة واحدة حين يذهب للكنيسة ايام الأحد ليستمع إلى «عظة الأحد». هذا إذا ذهب إلى الكنيسة (الإحصاءات تشير إلى ان أكثر المسيحيين عازفون عن الذهاب إلى الكنيسة) ليخرج منها وتنقطع صلته بدينه حتى يعود إلى الكنيسة في الاسبوع المقبل.

وقد تحدث باحثون غربيّون عن خصلتين يتصف بهما الاسلام من دون

(١) المائة الأوائل ص٥٧ لمايكل هارث.

سائر الأديان:

١ ـ عالمية الاسلام: في الوقت الذي تنحصر فيه بعض الاديان ببعض الاعراق والاجناس وتقتصر على جنس معين كاليهودية التي هي حكر على العرق اليهودي وكذا الهندوسية والسيكية اللتان تنحصران بالهنود، نجد ان الاسلام لايعرف عرقاً معيناً، فهو ينفتح على كافة الاعراق والاثنيات رافعاً لشعار انساني عظيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١] ويقول الرسول ﷺ: «الناس سواء كأسنان المشط»[٢] و«كلهم لآدم وآدم من تراب»[٣] ويقول أيضاً: «لافضل لعربي على اعجمي... إلّا بالتقوىٰ»[٤].

لقد تشكلت الحلقة الأولىٰ من رواد الاسلام من تشكيلة عالمية ضمت إلى جانب ابي ذر الغفاري العربي، سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، فكانت تشكيلة انسانية بتمام المعنى اثبتت انفتاح الاسلام على كل الاعراق والاجناس وعدم تمييزه بينهم رغم ظهوره في الجزيرة العربية ونزول القرآن باللغة العربية، واليوم لايشكل العرب المسلمون إلّا ١٨٪ من مجموع المسلمين وتبقى الأكثرية الساحقة من المسلمين ٨٢٪ غير عربية. كما ان أكبر بلد اسلامي هو بلد غير عربي وهو اندونيسيا وقد زرته مرتين ويضم مايزيد على ٢٠٠ مليون مسلم لايتكلمون العربية ولكنهم يعتزون اعتزازاً بالغاً بالاسلام الذي هو مصدر عزتهم

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) تحف العقول ص٣٦٨.

(٣) تحف العقول ص٣٣.

(٤) مسند أحمد ـ باقي مسند الأنصار ـ حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ.

وكرامتهم!

وبينما تؤمن المسيحية بأنها لا تميز بين الاعراق والاجناس إلّا انك لو عشت في الغرب لعلمت مدى المأساة العنصرية التي تعيشها شعوب الغرب حتى حين يأتي الأمر إلى الدين. يقول احد الكتاب الاميركيين ان أكثر ساعة تتجلى فيها العنصرية في اميركا هو يوم الاحد صباحاً! مشيراً بذلك إلى حقيقة قائمة وهي إرتياد السود لكنائس خاصّة بهم يوم الاحد وذهاب البيض ايضاً إلى كنائس خاصّة بهم لايخالطهم فيها السود!

ولو سرت ذات يوم في احياء الولايات المتحدة لأدهشتك حقيقة الفصل العنصري الطوعي. فالبيض لايعيشون إلّا في مناطق تخصهم وحدهم لايشاركهم فيها السود، والسود يعيشون في مناطق لايشاركهم فيها البيض. وهذا «الغيتو» الطوعي لم تفرضه قوانين مكتوبة ولكن فرضته حقيقة الوضع المتردي للسود الذين لايتمكنون من شراء بيوت في احياء راقية يعيش فيها البيض، ولذا تجد مناطقهم متخلفة يعيث فيها الخراب وانعدام الأمن والسرقات....ممّا خلق جواً من الفجوة الإجتماعية بين العرقين نادراً ماتجد احداً يتحدث عنها...!

بينما إذا دخلت إلىٰ أكثر مساجد المسلمين في الولايات المتحدة تجد العربي يصلي إلى جانب التركي، والاسود يصلي إلى جانب الابيض، كما هو الشأن في المسجد الحرام ـ في مكّة المكرمة ـ الذي تتجلىٰ فيه وحدة المسلمين جميعاً يقفون جنباً إلى جنب ـ على اختلاف مشاربهم واعراقهم والوانهم ـ للصلاة بين يدي الله عَزّ وجَلّ دون تمييز.

وهذا هو احد اسباب تنوع الجالية المسلمة في الغرب، وخصوصاً اعتناق ثلاثة ملايين اسود اميركي للاسلام، لما يجدونه في الاسلام من انفتاح ورحمة

ومساواة وعدم تمييز.

٢ ـ شمولية الإسلام: ان الاسلام هو ثالث الاديان السماوية، وهو يعترف بالديانتين اللتين سبقتاه: اليهودية والمسيحية، وانهما ديانتان سماويتان، كما يحفل القرآن الكريم بذكر انبياء بني اسرائيل، والمسيح عليه السلام مع بالغ التبجيل والاحترام. ومن هنا، فإن الإيمان بالاسلام يتضمن الإيمان باليهودية والمسيحية ايضاً، ومعتنق الاسلام من الديانتين اليهودية والمسيحية لايجد نفسه في موقف التضاد مع ديانتيه الاصليتين، بل على العكس من ذلك، يجد ان الاسلام يكن الكثير من الاحترام للديانتين السماويتين وللأنبياء الذين سبقوا الاسلام:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[١].

وهذه الميزة يتصف بها الاسلام فقط من دون سائر الاديان.

فاليهودية لاتعترف بالمسيحية، ونجد ان المسيحية لاتعترف بالاسلام بينما البوذية والهندوسية لاتعترفان بأي من الأديان السماوية وهكذا.

ونلحظ أهمية هذه الميزة حين نأخذ بنظر الاعتبار مدى الحرج الذي يمر به من يعتنق ديناً يرى زيف دينه السابق، وبالتالي يرى ان كل من يعتنق ذلك الدين هم على باطل ويستحقون دخول النار.

بينما تجد انفتاح الاسلام وشموليته، تتسع للاديان الاخرى واتباعها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

وهذه الآية المباركة هي من اقوى الادلة على انفتاح الاسلام ومرونته واحترامه للتعددية ولخصوصيات الاديان السماوية.

فنحن نجد مثلاً ان اليهود يعتقدون ان الجنّة حكر على اليهود ولن يدخلها إلّا هم والبقية إلى النار، وهكذا ايضاً يعتقد الكثير من النصارى ان السبيل الوحيد إلى الايمان الحقيقي بالله عَزّ وجَلّ هو الإيمان بالمسيح فقط، ومن لم يؤمن به لن يدخل الجنّة ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢] ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٥.

خواء المسيحية المعاصرة

ان الكنيسة المسيحية تمر اليوم بأزمة عاصفة تكاد تأتي عليها. فمنذ قرون انقسمت المسيحية ـ التي كان يهيمن عليها المذهب الكاثوليكي ـ إلى مذاهب جديدة، وتحديداً منذ ان انشق الكاهن الالماني مارتين لوثر (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) وتمرّد على الكنيسة الكاثوليكية وانشأ المذهب البروتستانتي. وابتدأ تمرده عام ١٥١٧ حين بدأ يهاجم معتقدات الكنيسة حول صكوك الغفران التي كانت توزعها الكنيسة، والفساد الاداري الذي استشرى فيها.

وحاولت الكنيسة الكاثوليكية اجراء بعض الاصلاحات لتدارك الخسائر التي منيت بها ولتجديد الحياة الكاثوليكية من خلال قرارات مجمع ترنت (١٥٤٥ ـ ١٥٦٣) حول القداس وصكوك الغفران وتدريب القسس[1].

ورغم تلك الاصلاحات، إلّا ان وتيرة العداء للكنيسة اخذت بالتصاعد خصوصاً مع بداية الثورة الفرنسية، حيث انتشرت في اوربا الدعوة إلى الديمقراطية مصحوبة بمشاعر العداء القوية ضد الكنيسة الكاثوليكية. وتحجّم دور البابا وانحصرت مع نهاية القرن الثالث عشر حدود البابوية في مدينة الفاتيكان بعد ان كان في السابق الحاكم الاقوى في اوربا. وتوالت الانتكاسات على الكنيسة الكاثوليكية إلى درجة ان الحكومة الفرنسية اجازت في العام ١٨٨٠ م قوانين مناهضة للكنيسة طردت بموجبها الطوائف الدينية من فرنسا ومنع التعليم الديني

---

(١) راجع الموسوعة العربية العالمية ج ٢٠ ص ١٢١.

في المدارس وتم تكريس العلمانية والفصل التام للدين عن الدولة، وتكررت نفس هذه المشاعر العدائية للكنيسة في ايطاليا مهد المسيحية وحاضنة الفاتيكان و خرجت فيها المظاهرات ضد النصرانية والبابوية[١].

ان تزمت الكاثوليكية واستشراء الفساد فيها، وتحكمها العبثي في رقاب الناس، ومحاكم التفتيش التي نشرتها هنا وهناك، ومغامرات بابوات الفاتيكان وحروبهم التي كانوا يشنونها في أوربا طمعاً في التوسع والهيمنة كلها كانت عوامل ليس فقط وراء ارتداد كثير من المسيحيين عنها وتأسيسهم لمذاهب جديدة، بل كانت هذه الأمور وراء الفصل التام الذي نشاهده اليوم في العالم الغربي المسيحي بين الدين والدولة، إلى درجة ان الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة تمنع منعاً باتاً تدخل الدولة في الشئون الدينية، وتحجب مساعدات الدولة عن المؤسسات الدينية اياً كانت سواء اكانت مسيحية أم غير مسيحية، وتمنع ممارسة اي نشاط أو رموز دينية في المدارس الرسمية الحكومية أو أي من المؤسسات التابعة للدولة.

وكان أيضاً من اسباب فشل الكنيسة الكاثوليكية هو التزامها بطقوس مملة ويغلب عليها طابع الترانيم القداسيّة الرتيبة.

وقد حضرت ذات مرّة إلى الكنيسة في ديترويت بمناسبة تقديم العزاء بوفاة البابا يوحنا بولص الثاني، وقد اضطررت بسبب ذلك ان احضر القداس الذي اقيم بهذه المناسبة. وطوال فترة زادت على الساعتين، فان كل ما كان يقوم به الحضور هو القيام مع تلاوات لاتينية غير مفهومة ثمّ الجلوس ثمّ القيام مع تراتيل اخرى ثم

---

(١) راجع المصدر السابق.

الجلوس ثمّ القيام وهكذا!!

قلت لنفسي حينها: لا الوم المسيحيين الذين تخلوا عن الكاثوليكية والتحقوا بغيرها لطغيان الطقوس الرتيبة على كل انشطة الكنيسة الكاثوليكية.

اما البروتستانتية، فعلى الرغم من انها اكثر انتشاراً من الكاثوليكية في الولايات المتحدة، واظهرت قدراً أكبر من الديناميكية، متفاعلة مع الفهم السائد، والتغيرات الجذرية التي طرأت على الشعوب المسيحية، ثمّ ابدت تفهماً أكبر لحاجات الفرد المسيحي الروحية، إلّا انها هي الاخرى وقعت في مطب اخر:

أوّلاً: مجاراة الرأي العام، ورغبات الفرد بما اثر على مصداقيتها وهو أمر سأشير إليه عند الاشارة إلى الشذوذ الجنسي كأحد مظاهر خواء المسيحية المعاصرة في الغرب.

ثانياً: تحولت الكنائس البروتستانتية[1] إلى سلّات لتحصيل المال، كما تحول القساوسة البروتستانت إلى تجار من نوع اخر، همهم الحرص على جمع اكبر قدر من المال، وبالتالي تحولت الكنيسة إلى مؤسسة تجارية لا تختلف عن أي مؤسسة تجارية اخرى. والواقع فان رجال الدين والوعاظ البروتستانت هم من اثرى الطبقات في المجتمع الامريكي. كما يتفنون في طرق وفنون تحصيل المال، فمن بث البرامج التلفزيونية التي يشاهدها الملايين من الامريكيين والتي تصاحبها برامج دعائية تحث المشاهد على دفع الأموال للكنيسة إلى طبع كتب ـ فارغة المحتوى في الاغلب ـ يقوم بطباعتها القساوسة، وتصنّف الاكثر مبيعاً، يجني القساوسة

(١) يوجد في الولايات المتحدة الاميركية ١٠٥٤٢٧ كنيسة وذلك بحسب احصاء عام ٢٠٠٠. راجع الموقع على الشبكة العالمية Adherents.com.

البروتستانت منها الملايين من الدولارات وأخيراً إلى الدعاية المكشوفة التي تحت المشاهد، والفرد المسيحي على العموم على التبرع للكنيسة التي يكون المستفيد الأكبر منها في مثل هذه الحالات هم القساوسة. ناهيك عن ممارسة بعض القساوسة لطرق الدجل المفضوح في جلسات يطلقون عليها اسم [Healing] الشفاء وهي جلسات يحضرها الالاف من الناس وخصوصاً ذوو العاهات والامراض المستعصية، يدعي فيها القسيس انه قادر على شفاء هؤلاء، وبالتالي يقوم بحصد مبالغ خيالية من هؤلاء السذج، وخصوصاً للمشاهدين على شاشات التلفزة الذين تنطلي عليهم الحيلة. ومن المألوف جداً ان تقرأ بين فترة واخرى عن اعتقال السلطات لبعض هؤلاء الدجالين الذين انكشف أمرهم، وتبين ان ماكانوا يمارسونه لم يكن إشفاء للمريض وإنما عملية نصب واحتيال يتفقون سلفاً فيها مع ادعياء الامراض المستعصية الذين يتظاهرون بالشفاء بمجرد لمس الكاهن المسيحي لهم.

ومن هؤلاء كاهن دجّال اسمه بني هان **Benny Henn**، الذي كان يدعي ولفترة طويلة ان المسيح عليه السلام هبط عليه ذات يوم ومنحه قدرة الشفاء التي تمكّن ـ حسب ادعاءه ـ من خلالها اشفاء الالاف من المرضىٰ المسيحيين، حتى انكشف امره واعتقل بتهمة النصب والاحتيال.

واتذكر ذات مرّة انه أجريت مع هذا الكاهن مقابلة تلفزيونية على الهواء إعترف خلالها انه يملك الملايين من الدولارات وانه يعيش في قصر ضمن منطقة مسيّجة يقطنها فقط ذوو الملايين. واتصل به شخص وسأله استهزاءً، ان كان المسيح عليه السلام الذي يدعي هذا الكاهن انه احد رسله عاش أيضاً في قصر في منطقة يقطنها اصحاب الملايين، وامتلك الملايين من الدولارات؟؟ فأجابه الكاهن ان

المسيح ﷺ لم يكن لديه محطة تلفزيونية يعمل فيها ٤٠٠ موظف مسئول هو عن دفع رواتبهم!!

وإذا القينا نظرة على قائمة اثرياء امريكا فسنجد ان فيهم رجال دين ووعاظ مشهورين يتجاوز دخلهم السنوي الملايين من الدولارات.

ثالثاً: من اسباب خواء المسيحية في الغرب هو انتشار الشذوذ الجنسي في وسط رجال الدين المسيحي والفضائح الجنسية التي غشيتهم. فبين فترة واخرى تعلن الصحف الامريكية عن فضيحة جنسية جديدة يكون نجمها في الغالب احد الكهنة المسيحيين، فمن الاعتداء الجنسي على الاطفال إلى الشذوذ الجنسي وإلى ممارسة الجنس مع العاهرات، تقرأ كل يوم تقريباً فضيحة كان بطلها احد هؤلاء الكهنة.

وقد قرأت في الصحف الامريكية أن مطرانية لوس انجلس الكاثوليكية في العام ٢٠٠٦، دفعت مبلغ ١٠٠ مليون دولار لضحايا الاعتداءات الجنسية من قبل القساوسة، كتسوية في مقابل تنازل هؤلاء الضحايا عن الترافع إلى المحاكم الامريكية، الأمر الذي قد يؤدي إلى سجن الكهنة المتهمين لعشرات السنوات!

كما اضطرت مطرانية شيكاغو لبيع الفيلا التاريخية الفارهة التي يقطنها كاردينال شيكاغو والتي تبلغ قيمتها ١٤ مليون دولار من اجل تسديد نفقات تسويات مشابهة قامت بها مطرانية شيكاغو مع ضحايا الاعتداءات الجنسية للقساوسة الكاثوليك!

وقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز[١] ان مجموع ماقدمته الكنيسة الكاثوليكية

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ١٧ / ٤ / ٢٠٠٨.

من تنازلات مالية في قضايا التسوية حول فضائح الاعتداءات الجنسية للقساوسة الكاثوليك بلغت ملياري دولار!!

كما يتوقع ان تصل مبالغ التسويات المالية مع انتهاء جميع الدعاوى إلى خمسة مليارات دولار[1].

ولقد ادت الفضائح الجنسية في العام ٢٠٠٥ لرجال الدين الكاثوليك إلى هزة كبرى تعرضت لها الكنيسة الكاثوليكية اثّرت كثيراً على اعداد روادها التي بدأت بالتناقص، وبالتالي اثرت بشكل كبير على مداخيل الكنيسة الكاثوليكية.

ورغم ان رجال الدين البروتستانت قلّ ان يتورطوا في اعتداءات جنسية على الاطفال إلّا ان بعضهم يتورط في قضايا الدعارة والشذوذ الجنسي.

فالقس التبشيري [Evangelical] جيمي سويغر الذي يعرفه الكثيرون في العالم الاسلامي من خلال مناظراته الشهيرة مع المرحوم الداعية احمد ديدات، اكتشف وهو متورط بعلاقة مع مومس كان يلتقيها بشكل منتظم في احد الفنادق المحلية.

والغريب ان هؤلاء القساوسة حين يكتشف أمرهم وبدلاً من إعلان التوبة إلى الله عَزّ وجَلّ واستغفارهم، يتقدمون إلى زوجاتهم وجمهورهم بطلب التوبة والصفح عنهم. وهذا مافعله القس الاسود المشهور جيسي جاكسون حين اكتشف متورطاً بعلاقة غير شرعية مع امرأة، فما كان منه إلّا ان توجه بالاعتذار إلى زوجته وإلى الشعب الامريكي بالصفح عنه!!

اما قضايا وفضائح الشذوذ الجنسي في وسط الكهنة المسيحيين في امريكا

---

(١) راجع المصدر www.forbes.com/2003/09/24/cz_dl_0923church.html

فحدث عنها ولاحرج. ولعلّ هذه الفضائح هي من أبرز اسباب انكفاء الشباب المسيحي عن حضور الكنائس وافلاسها وسقوط شعبيتها.

لقد اهتزت امريكا على اثر فضيحة شذوذ جنسي تورط بها احد كبار الوعاظ التبشيريين [Evangelical] في امريكا. وبالمناسبة فان هذه المجموعة والتي سأتحدث عنها في مكان اخر من الكتاب تتسم بالتعصب المسيحي وكذلك بالعداء الشديد ضد الاسلام وتحديداً ضد الرسول ﷺ. إذ يستعملون كلمات نابية وجارحة حين الاشارة لشخص الرسول ﷺ وهم في غاية الوقاحة والجرأة في توجيه الاساءات إلى الاسلام وإلىٰ شخص الرسول الكريم ﷺ.

فقد نشرت الصحف الاميركية[1] قصة واعظ وكاتب مسيحي مشهور اسمه تيد هاغارد [Ted Haggard] اسس كنيسة عظيمة في ولاية كولورادو يحضرها الالاف من الاثرياء والطبقة المثقفة. اذ يُعرف عنه انه واعظ بليغ، متمكن من فنون البيان ومقتدر في الأخذ بناصية الكلام ويحضر مواعظه الاسبوعية يوم الاحد ستة عشر الف شخص على مرحلتين. اذ تضم كنيسته ثمانية الاف مقعد، ولكي يواجه الطلب الشعبي الهائل على حضور محاضراته، يضطر لالقاءها مرتين، في العاشرة وفي الحادية عشر صباحاً في كلّ يوم أحد. كما أنه رئيس رابطة الكنائس التبشيرية التي تضم مايزيد على ٤٠ مليون عضو.

كانت ولاية كولورادو بصدد طرح استفتاء شعبي يعترف بزواج الشاذين جنسياً ليتم التصويت عليه من قبل ناخبي الولاية. قاد هذا القسيس تيد هاغارد حملة شعبية ضخمة، متحصناً ببلاغته ومقدرته الهائلة على الخطابة، والتأثير في

---

(١) صحيفة واشنطن بوست بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠٠٦.

مشاعر الناس، مما مكنه من اسقاط هذا التشريع الذي يبيح الزواج للمثليين ...

وهنا ظهرت المفاجأة، إذ تبين ان هذا القسيس كان من عادته ان يتغيب عن عائلته ـ وهو متزوج وله خمسة ابناء ـ لعدة ايام، إذ يعتكف في احد فنادق المدينة بحجّة تأليف كتاب جديد له (لقد اسلفنا انه كاتب مشهور بالاضافة إلى كونه واعظاً) وفي خلال تواجده في الفندق يستدعي مومساً ذكراً ليمارس معه الشذوذ في مقابل دفعه لبعض الدولارات لهذا المومس الذكر ...

كان هذا القس والواعظ المسيحي المشهور تيد هاغارد يخفي اسمه الحقيقي أمام هذا المومس الذكر ويكتفي بان يعرف نفسه انه ستيف Steve!

ولم يكن المومس الذكر الذي كان القس يمارس معه الشذوذ الجنسي (اللواط) يعرف شيئاً عن مواقف هذا القس المعادية للشاذين جنسياً وحملته المنظمة التي قادها لاسقاط تشريع قانون يعترف بزواج المثليين ..

وذات مرّة كان المومس الذكر يشاهد التلفزيون وشاهد القسيس تيد هاغارد ببلاغته المعهودة يهاجم الشذوذ والشاذين جنسياً. فاكتشف ان زبونه الذي يمارس معه الشذوذ الجنسي منذ ثلاث سنوات المسمى بـ«ستيف» ليس إلّا هذا الواعظ المسيحي المنافق المعروف: تيد هاغارد!

لقد ثارت عند المومس الذكر الحمية ونخوة اللواطين (!!) وقرر الانتقام من القس المسيحي بفضحة على الملأ، فما كان منه إلّا ان اعلن في مؤتمر صحفي تحدث فيه عن تفاصيل العلاقة المشينة التي تربطه مع هذا الواعظ المسيحي الذي طالما حارب الشاذين جنسياً في العلن وقاد حملة كبرى ضد تشريع قانون يبيح لهم الزواج من مثلهم رسمياً!

واحدثت الفضيحة ضجة مدوية في الولايات المتحدة وسادت عاصفة

من الذهول والحيرة بين رواد كنيسة القس الذين يصل عددهم إلى ١٦ الف شخص. فبين ساخط، متذمر من سلوك هذا القس المنافق، وبين متسامح متفهم لاحتياجاته الجنسية، انقسم جمهور كنيسته التي سارعت إلى طرده منها دون ان تتمكن من سد الفراغ الذي احدثه غيابه المفاجئ، وهو الخطيب المفوّه الذي لايشق له غبار.

ومن الغريب ان الاعتراف بالشاذين جنسياً وبحقوقهم المشروعة (!!!) اصبح من السمات البارزة للكنيسة البروتستانتية في الولايات المتحدة وفي الغرب عموماً، فليس من العجيب ان تجد كثيراً من القساوسة البروتستانت يدعو إلى عدم التمييز ضد رواد الكنيسة من الشاذين جنسياً، واحتضانهم، والاعتراف بهم وبحقوقهم والمسامحة بشأن الشذوذ الذي يمارسونه!

والسبب في هذا الاحتضان للكنيسة البروتستانتية للشواذ هو تجاري بحت. إذ كما اسلفنا، فإن الكنائس في الولايات المتحدة تعتمد على ازدهارها ونموها ومداخيلها على تبرعات الروّاد والاعضاء. وكثير من هؤلاء المتبرعين هم من الشاذين جنسياً، ولكي لا تشتري الكنيسة عداء هؤلاء وتضمن ولاءهم وبالتالي اموالهم، تقوم الكنيسة بالمداهنة بشأنهم، وتحتضنهم وتعترف بهم على اعتبارهم افراداً اسوياء وليسوا شواذاً!

ان الفكر المادي الذي اجتاح الغرب عموماً لم يستثن الكنيسة التي تأثرت هي أيضاً بالفكر التجاري، بل تحولت هي بذاتها إلى مؤسسة تجارية همها تحصيل الأموال والاثراء حتى على حساب المبادئ والعقيدة!

اتذكر انني كنت ذات مرّة مدعوا من قبل الرئيس بيل كلينتون في العام ١٩٩٩ لحضور مأدبة افطار اقامها على شرف رجال دين مسيحيين ويهود

ومسلمين في البيت الأبيض. وكنت احد ثلاثة مسلمين كانوا مدعوين لهذه المناسبة.

وكنا قرابة المائة رجل دين، وقد ملأنا بحضورنا احدى قاعات البيت الابيض وكنا نتحدث فيما بيننا احاديث جانبية قبيل دخول الرئيس كلينتون إلى القاعة، وانضمامه إلى المجموعة وتحدثه معهم.

بينا نحن نتحدث، إذ اقبل إليّ قس مسيحي وحيّاني معرفاً بنفسه قائلاً أنا القس الفلاني (نسيت اسمه)، ارأس أحدى الكنائس الكبرى في مدينة سياتل الامريكية، ثمّ قال هذا القس المسيحي وهو لايزال يمسك بيدي مصافحاً: بالاضافة إلى كوني واعظاً في هذا الكنيسة فاني ارأس منظمة تعرف بـ **[FPLG]**. فقلت له متسائلاً: وماذا تعني **[FPLG]**؟ فأجابني: **Friends & Parents of Lesbians and Gays** وتعني منظمة اصدقاء وآباء السحاقيات واللواطين! ثمّ اضاف: أنا اقوم بدعم الشاذين جنسياً ليخرجوا من عزلتهم التي فرضها عليهم المجتمع، ولي اربعة ابناء، اثنان منهم اسوياء واثنان من الشاذين جنسياً وانا فخور بأبنائي الاربعة جميعاً دون تمييز!

لقد أُصبت بصدمة من كلامه الذي اثار الاشمئزاز في نفسي، حيث تساءلت مع نفسي: كيف يتسنى لرجل دين، يدعي تمثيل عقيدة سماوية ان يعلن عن تأييده للشاذين جنسياً، بل وينشئ منظمة للدفاع عنهم؟!

وبالمناسبة، فان الاحصاءات تشير إلى ان ٥١٪ من الاميركيين لا يرون غضاضة في الشذوذ الجنسي، وان نسبة منهم تصل إلى ٢٥٪ تمارس الشذوذ

الجنسي[١].

والحق ان دعم الشاذين جنسياً والغض عن تصرفاتهم واحتضانهم لايقتصر على الكنيسة المسيحية اليوم في الغرب بل تعداه إلى كنيس اليهود وبيعهم ايضاً، والتي تحولت بدورها إلى مراكز تجارية لجمع المال والاثراء حتى لو تمّ ذلك بأساليب يدينها دينهم وعقيدتهم!

اذكر مرّة انني حضرت اجتماعاً دورياً لـ(ندوة الزعماء الدينيين **Religious Leaders Forum**) وهي رابطة تضم عدداً من رجال الدين من الطوائف الثلاث المسيحية واليهودية والاسلام وأنا أحد اعضاءها، وتضم ايضاً في عضويتها الكاردينال آدم مايدا رئيس الكنيسة الكاثوليكية في ولاية ميشغن الامريكية والتي لها من الاتباع مايقرب من المليون ونصف المليون!

كان يومها يسود حديث عن قرب قيام بعض الولايات الامريكية بالاعتراف رسمياً بزواج المثليين، فالتفت إلى الكاردينال واقترحت عليه ان نخرج نحن اعضاء الندوة باستصدار بيان يدين زواج المثليين. اسرّ اليّ الكاردينال بأنه هو شخصياً لايعارض مثل هذا البيان ولكن لعل الاخرين يعارضونه. سألت مستغرباً: وهل تظن ان احد الحضور سيعارض مثل هذا البيان؟ قال: انتظر وسترى بنفسك! ثمّ عرض الكاردينال الذي كان يترأس الجلسة الأمر على الحضور فبدأ الواحد بعد الاخر بمعارضة مثل هذا البيان بحجّة ان مؤسساتهم الدينية التي يمثلونها لم تتخذ بعد قراراً بهذا الشأن!

ثمّ انتهى الدور إلى الحاخام اليهودي الذي كان يحضر الندوة والذي اثارت

---

(١) www.gallup.com/poll/9916/Homosexuality.aspx

معارضته الشديدة للبيان استغرابي، فالتفتُ إلى الحاخام اليهودي الذي بدا متعاطفاً جداً مع الشواذ وقلت له: اليست التوراة التي تؤمن بها تندد بالشذوذ الجنسي؟ أليست تحكي قصة مصير عمورة وسدوم التي كانت تمارس اللواط فعوقبت من قبل الله عَزّ وجَلّ بالدمار والخراب؟

فأجابني الحاخام: ياسيادة الإمام، ان التوراة ليست وحياً من الله!! انها كتاب تاريخ يضم الصحيح والباطل ليس إلّا!

وهذا دليل دامغ على تلاعب اليهود بالنصوص الدينية والتحايل عليها ومحاولة التنصل من الالتزام بما جاءت به كتبهم المقدسة طمعاً في المال وسعياً وراء الثروة والاتباع، وان ادى ذلك إلى ضرب القيم والمبادئ بعرض الحائط!

تفكّك المجتمع الغربي

ان من الأمور التي تمهّد الاجواء للدعوة الاسلامية في الغرب هو تعطش المجتمع الغربي الذي يعيش تفككاً اخلاقياً لا نظير له. فأخبار الفضائح تملأ صفحات الجرائد والمجلات وتتصدر الأخبار التلفزيونية يومياً. واما نسبة الجرائم فهي في صعود مستمر، مسجلة ارقاماً قياسية مخيفة. وتعد الولايات المتحدة الامريكية الدولة التي لها اكبر عدد من السجناء في العالم إذ يصل عدد السجناء فيها قرابة المليونين ونصف المليون[1]، ومن المؤسف حقاً، ان هؤلاء السجناء يكلفون خزينة الدولة مئات المليارات سنوياً، بل ان بعض الولايات الامريكية كولاية ميشغن حين تنفق دولاراً واحداً على التعليم تنفق في مقابله ١,٢٠ دولاراً على السجون.

أما نسبة الطلاق وتفكك الاسر فهي أيضاً آخذة في النمو الرهيب، إذ أنّ بعض الاحصاءات تشير إلى ان نسبة الطلاق عموماً في الولايات المتحدة تصل إلى خمسين في المئة[2].

واما انتشار المخدرات فحدث عنه ولاحرج. إذ يقوم تلاميذ المدارس الثانوية، وكذا طلاب الجامعات بتناول المخدرات دون حرج أو خوف. بل ان كثيراً من المؤسسات العلمية والاكادمية تحول حرمها الجامعي إلى بيئة خصبة لتداول

---

(١) بحسب وزارة العدل الاميركية فان عدد السجناء في الولايات المتحدة هو ٢,٢٩٩,١١٦ سجين. راجع www.ojp.usdoj.gov/bjs/prisons.htm

(٢) راجع الموقع التالي: divorcereform.org/rates.htm

وتناول المخدرات، ويعيش كثير من طلاب الجامعات المرموقة مثل ييل وستانفورد وبير كلي وغيرها تجربتهم الأولىٰ مع المخدرات بمجرد دخولهم إلى الجامعة.

ان ضياع القيم و المبادئ الاخلاقية، وسيطرة العقلية المادية العمياء على المجتمع الغربي دفعت بالملايين إلى سلوك سبيل الانحراف والجريمة والانفلات.

و لاشك ان المؤسسات الدينية ودور العبادة، كالكنائس وغيرها لعبت دوراً ايجابياً إلى حد ما. نقول ذلك لكي لا نبخس حق احد، ولكن هذا الدور ضئيل في قبالة التيار الجارف الذي يودي بالملايين من الشباب الغربي سنوياً، ويجعلهم ينخرطون في مسلسل الجريمة... .

وفي الدعوة التي وجهها الرئيس كلينتون لمجموعة من رجال الدين وكنت أحدهم إلى البيت الابيض، اتذكر ان الرئيس ذكر في خطابه ان نسبة العنف والجريمة في اوساط المراهقين الامريكين هي ١٥ مرة أكثر من نسبتها في ٢٥ دولة صناعية مجتمعة!

كما اتذكر أنّ رئيس شرطة ديترويت اخبرني ذات مرّة، ان مايقع من جرائم قتل في مدينة ديترويت الامريكية لوحدها هو اكثر ستين مرة من جرائم القتل التي تقع في دولة كندا!

ولاشك أنّ من اهم عوامل تفكك المجتمعات هو تفكك الاسرة، وهو أمر مشهود بكل وضوح في الولايات المتحدة. وتشير الاحصائيات[١] إلى ان ثلث الاسر الامريكية احادية الاب [Single Parent] أي انها تعيش مع أحد الابوين

---

(١) راجع الموقع التالي: singleparents.about.com/od/legalissues/p/portrait.htm

ـ وفي الغالب الام ـ فقط.

وتتعرض كثير من الامهات إلى الضرب المبرّح نتيجة سكر الزوج وادمانه على الكحول، أو ادمانه على القمار، حيث يعود إلى المنزل وقد خسر كل ما لديه، فيقوم ـ ولكي يسرّي عن احباطه ـ بضرب زوجته ضرباً مبرّحاً. وللعلم، فان تناول الكحول مسموح في كافة الولايات المتحدة وهو يتسبب بمقتل قرابة ٤٥ الف شخص سنوياً يقضون في حوادث السيارات نتيجة مايسمّى: [drinking & driving] تناول الخمر ثمّ القيادة. اما القمار فبدأت الكثير من الولايات الامريكية السماح به مؤخراً، الأمر الذي انعكس على نسبة الجرائم فيها، والتي اخذت بالنمو السريع.

ومن هنا نجد ايضاً الاعداد المتزايدة لجنح الاحداث، الذين يقومون ـ وبسبب غياب الاب في اغلب الاحيان ـ إلى الجنوح إلى الجريمة. وفي الواقع فان تفكك الاسر لم يكن السبب الوحيد فيه هو انفصال الزوجين، بل ان كثيراً من الاسر تعد متفككة رغم تظاهرها بالتماسك.

حياة العصرنة:

لقد دفعت الثورة الصناعية التي اجتاحت الغرب بالالاف إلى المصانع و المعامل، ووفرت ملايين من فرص العمل لابناء المجتمع الغربي، ممّا شجع كثيراً من النساء إلى مزاولة العمل طلباً للاجور وسعياً وراء حياة أكثر راحة ورفاهية.

وقد تسبب هذا الأمر إلى ان يتحول البيت الامريكي والاسرة الامريكية إلى اشبه بنزلاء الفنادق الذين يتجاورون في غرفهم دون ان يتعرف الواحد منهم

على الاخرين. هكذا اصبح البيت الامريكي، منامة، ينام فيها اعضاء الاسرة وفي النهار يذهب كل إلى وجهته. يذهب الزوجان إلى العمل، ليعودا إلى المنزل في وقت متأخر متعبين منهكين، ويعود ابناؤهم إلى المنزل من المدارس ويستعيضون عن الابوين الغائبين بالاصدقاء والاقران. وغالباً ماينخرط هؤلاء في انشطة غير لائقة، تؤثر على اخلاقهم وسلوكياتهم. وهكذا، لايتسنىٰ للمراهق في مثل هذا المجتمع مرافقة ابويه أو قضاء شيء من الوقت معهما، ولايجد سوى الاقران، وهم مجموعة نزقة من المراهقين الاشقياء، ليقضي معهم وقته، ويتأثر بالتالي بسلوكياتهم.

لقد أصبح حب المال، والاثراء السريع دافعاً للكثيرين في المجتمع الغربي للتخلي عن مسئولياتهم تجاه ابناءهم واسرهم، وقد ادى ذلك إلى تباعد الفجوة بين الابناء والاباء في هذا المجتمع، وزيادة ملحوظة في حالات جنوح الاحداث، وانخراطهم في سلك الجريمة، وتناول المخدرات. إذ يعمد الكثير من الشباب الغربي اليوم إلى التجمع بعيداً عن عيون الكبار، وعن عيون السلطة، وينخرطون في ممارسات جنسية جماعية محمومة يشارك فيها الفتيان والفتيات، ثمّ تنتهي هذه التجمعات بالرقص وتناول المخدرات من خلال إبر ملوثة، تتسبب في حالة من الهلوسة والحمىٰ الهستيرية ثمّ تنتهي هذه الحفلات بسقوط الواحد منهم جانباً لاحراك فيه على اثر هذا النشاط المحموم وجرعات المخدرات. وقد تسببت هذه الحفلات الماجنة التي يحييها هؤلاء الشباب بانتقال الامراض الخطيرة كمرض نقص المناعة H.I.V في بعض الاحيان.

جاء شاب عربي مسلم إلى مكتبي ذات يوم وطلب مقابلتي على وجه السرعة. ولما دخل إلى المكتب وجدته شاباً في العشرينات من عمره وقد بدا

الشحوب على وجهه، ولما سألته عن شأنه أخبرني انه تعرف إلى فتاة امريكية، طلق ابواها، وتعيش مع امها، وكانت قد اخذته إلى احدى هذه المجموعات التي تجتمع بعيداً عن العيون في احد السراديب لتمارس المنكر، وتتعاطىٰ المخدرات. يقول الشاب: لم اشأ في البداية ان احضر مثل هذه الجلسات، لكن الاغراءات كانت كبيرة، فبدأت امارس مايمارسون واتعاطى المخدرات. وبعد فترة لاحظت فقداني للشهية، كما فقدت شيئاً من وزني، وقد اثار عندي الأمر بعض الريبة، فذهبت إلى الطبيب الذي قام باجراء فحص لدمي، ثمّ اخبرني انني مصاب بمرض ال H.I.V. ثمّ يضيف الشاب: وعند خروجي من عند الطبيب اتصلت بالفتاة وإذا بخط الهاتف مقطوع، زاد عندها الشك لدي، فذهبت إلى البيت التي كانت تعيش فيه مع امها فاخبرني الجيران بأن السيدتين قد غادرتا قريباً هذا المكان إلى جهة غير معلومة!

واليوم ـ يقول الشاب ـ جئت اليك لاعرض عليك مصيبتي واخبرك انني سأذهب إلى بلدي العربي لأموت هناك بسلام حيث أخبرني الطبيب اني لن اعيش لاكثر من ستة اشهر!!

لقد أسفت كثيراً لأمر هذا الشاب المسكين، وحزنت لاجله وتذكرت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[2].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٩.

دُور العجزة:

ولعل من ابرز مظاهر تفكك الاسرة في الغرب، هو وجود العدد الهائل من الطاعنين في السن في الولايات المتحدة في دور العجزة.

لقد اهتم الاسلام اهتماماً بالغاً برعاية الوالدين واوصى الابناء بالتفاني بخدمتهما، إذ يقول القرآن الكريم: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾**[1]

ولقد اكدت الكثير من الاحاديث النبوية على المكانة المقدسة التي يحتلها الابوان في الاسلام وضرورة اهتمام الابناء بالابوين، والعطف عليهما، وابداء المحبة والرأفة لهما.

بلغ من تأكيد الاسلام على مكانة الابوين ان النبيّ ﷺ لم يأذن لشاب بالجهاد لتعلق امه به وأُنسها به، إذ قال النبيّ ﷺ لهذا الشاب الذي أراد الجهاد لكن امه كانت تكره ذلك قال ﷺ: **«ارجع فكن مع والدتك فوالذي بعثني بالحق نبيّاً لأنسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة»**[2].

ويقول الرسول ﷺ لرجل ارتكب المعاصي جميعاً واراد ان يكفِّر عن ذنوبه: **«اذهب إلى امك فبرها قال ثمّ من: قال امك قال: ثمّ من قال امك!»**[3].

---

(١) سورة الاسراء: الآيتان ٢٣ و ٢٤.

(٢) الكافي للكليني ج٢ ص١٦٣ باب البرّ بالوالدين ح٢٠.

(٣) الكافي للكليني ج٢ ص١٥٩ باب البرّ بالوالدين ح٩.

بينما نجد في الغرب وتحديداً في الولايات المتحدة، ان الابناء يلقون بالاف الاباء والامهات في دور الرعاية الحكومية، أو الاهلية. ورغم ان العناية الطبية التي تقدم لهؤلاء، هي عناية جيدة إلّا ان مايعاني منه هؤلاء النزلاء هو عدم اهتمام المجتمع وخصوصاً اهلهم وابناءهم بهم، وتمر الشهور وربما السنوات قبل ان يتكرم احد هؤلاء ويقوم بزيارة والديه في دور رعاية العجزة.

وهذا ليس وحده فحسب، وإنّما حتى اولئك الطاعنين في السن ممّن لم يدخلوا دور العجزة لايعيشون في الغالب مع ابناءهم بل في تجمعات سكنية ضخمة لا تضم إلّا فئة الطاعنين في السن والذين يطلق عليهم **[Senior Citizens]** فلا قريب يسأل عنهم ولا ولد أو بنت يهتمون بهم، بل يعمد الطاعنون في السن في أكثر الاحيان لقضاء اوقاتهم مع بعضهم البعض، ويخفف ألمهم ان اصدقاءهم وامثالهم من الطاعنين في السن شأنهم سواء، يعانون جميعاً من الوحدة، فيسلي أحدهم الآخر وهذا يفسر إلى حد كبير سبب إلتجاء كثير من الامريكين إلى اقتناء الكلاب والمحافظة عليها، والتعلق عاطفياً بها إلى درجة انها تتحول إلى شبه ابناء لهم.

ان المسنين يجدون في هذه الحيوانات من الحب والوفاء مالايجدونه عند ابناءهم، وهي تبادلهم ايضاً العطف والحنان وتتحول احياناً إلى رفيقهم الوحيد في الحياة بعد ان ينفصل ابناؤهم عنهم ونادراً مايزورونهم او يسألون عنهم.

اتذكر انه كان لي جار اميركي حين كنت مقيماً في ولاية كاليفورنيا الامريكية، وكان كبيراً في السن، وكان يقضي كل وقته تقريباً بممارسة رياضة المشي مع كلبيه الذين كان شديد التعلق بهما! وحين سألته ذات مرة عن شأنه اخبرني ان زوجته تركته قبل فترة لتعيش مع شخص آخر. أما ولداه فأحدهما

يعيش في جزيرة غوام ولايسمع منه إلّا نادراً، أما الآخر فيعيش في ولاية نيوجرسي ويتصل به مرة اثناء اعياد الكريسماس ليطمئن عليه!

الخمر والقمار:

ان من العوامل التي تؤدي إلى انهيار كثير من الاسر الاميركية هو إدمان الخمور وممارسة القمار لدى كثير من افراد المجتمع الامريكي.

لقد قامت العديد من الولايات الامريكية ـ كما اسلفنا ـ باستصدار تراخيص لفتح عدد من الكازينوهات التي يمارس فيها القمار تحديداً. وهذا الأمر أدى بالطبع إلى توجه الكثيرين إلى هذه المقامر لممارسة القمار الأمر الذي ادى إلى افلاس الكثيرين وفشلهم بالتالي في حياتهم الزوجية ... وهنا يكتشف المرء سر تحريم القمار في الاسلام، يقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾[١].

وقد ادت ممارسة القمار إلى انهيار الكثير من الاسر الامريكية، في وقت يثري فيه أصحاب هذا المقامر ثراء فاحشاً، على حساب الاسر الاميركية..

لقد اهتزت الجالية المسلمة ذات مرة عام ١٩٩٩ عندما خسر رجل عربي مسلم في كازينوهات لاس فيغاس مدينة القمار في ليلة واحدة مايزيد على ٤٠٠ الف دولار اميركي. فعاد تلك الليلة إلى منزله الذي وصله متأخراً، فتوجه إلى

---

(١) سورة المائدة: الايتان ٩٠ و ٩١.

زوجته وابناءه الثلاثة النائمين وقام بقتلهم جميعاً، ثمّ قتل نفسه. وكان قبل ارتكابه الجريمة المروعة ترك ورقة كتب عليها انه لم يشأ أن يترك اسرته ان تواجه المجهول، بعد انتحاره!

وبعد أيام جائتني شقيقة هذا الرجل باكية، واخبرتني ان السبب في ادمان اخيها على القمار، انه ذهب ذات مرة إلى مقامر لاس فيغاس وعاد وهو يحمل معه شيكاً بقيمة ٣٠٠ الف دولار ربحها من القمار. لقد ظن انه سيربح مثل هذا المبلغ كلما قامر، ولما استمر في المقامرة وبدل ان يربح، خسر ماربحه ثمّ اخذ يغرق في بحر الديون نتيجة ادمانه على القمار شيئاً فشيئاً حتى كانت الفاجعة!

الإباحيّة الجنسيّة:

لقد خطى الغرب خطوات مميتة في اباحة الجنس، واطلاق الحرية الجنسية، فكان لها الاثر المدمر على بنية المجتمع الغربي الذي بدأ يتآكل من الداخل، إذ اخذت سوس التحلل الجنسي تنخر فيه نخراً عميقاً وتهدد بالاطاحة ببنيانه!

فلا يمر يوم تقريباً إلّا وتقرأ على صفحات الجرائد، اخبار الفضائح الجنسية سواء لكبار الساسة وقادة الدولة أو الممثلين وكبار الصحفيين أو حتى رجال الدين المسيحي.

وفي اثناء فترة حكم الرئيس السابق بيل كلينتون لم يكن يمضي شهر حتى تنفجر فضيحة جنسية له تتحدث عنها الصحف والمجلات ووسائل الصحافة الاخرى، وتصبح مادة اعلامية رسمية، يتم الحديث عنها صباح مساء. واتذكر ذات مرة أن احدى الصحف الامريكية وهي صحيفة لوس انجلس تايمز نشرت على صدر صفحاتها وبأسلوب علني وفاضح قصة علاقته مع بولا جونز التي

افضت بتفاصيل العلاقة المشينة التي ربطتها مع الرئيس، بما فيها تفاصيل عن العلامات الفارقة لدى اعضاء الرئيس التناسلية !!

واتذكر حين تمت دعوتي إلى جانب عدد من رجال الدين إلى البيت الابيض في سبتمبر ١٩٩٩ للقاء الرئيس كلينتون ـ وكان قد مضى عام على فضيحته مع المتدربة مونيكا لوينسكي ـ تحدث الرئيس عن معاناته النفسية بعد الفضيحة، وتحدث عن دروس في الدين والروحانية بدأ يأخذها على يد رجال دين تعينه على التخلص من انحرافه الجنسي، وكان بعض هؤلاء بين الحضور، فشكرهم على مساعيهم تلك!

وهذه قصة سأوردها هنا، كنت قد قرأتها في جريدة نيويورك تايمز قبل ايام[1] لنكشف عن عمق الانحطاط الاخلاقي الذي وصلت اليه بعض الاسر الاميركية، وانعدام الوازع الاخلاقي فيها:

فهذه سيدة اسمها ريبيكا ديكنسون [Rebecca Dickinson] تعمل ضابطة في البحرية الاميركية لها من العمر ٣٨ عاماً، وحصلت على العديد من الاوسمة والميداليات وقامت بتدريس مادة (القيادة) في الاكاديمية البحرية في آنا بوليس بولاية ميريلاند ونالت اعجاب الكثيرين من ادميرالات البحرية الاميركية لأداءها المتميز.

لقد انكشف مؤخراً انها وبسبب حبها للمال (هي تتقاضى راتباً يزيد على ٧٧ الف دولاراً سنوياً) وكذا بسبب خلافاتها الزوجية، قررت ان تنضم إلى شبكة بغاء تديرها سيدة اميركية غامضة تدعى مدام دي. سي (دي. سي هي مدينة

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ١٢ ابريل ٢٠٠٨ ص [A11].

واشنطن العاصمة) وتحولت هذه الضابطة المرموقة إلى مومس تتقاضى اجراً يصل إلى ١٤٠ دولاراً عن كل ممارسة جنسية. فهي ضابطة من الرتب العليا في العلن، ومومس تتقاضى اجراً على كل مرة تمارس فيها البغاء في السر. والغريب ان زبائن شبكة البغاء هذه كما ذكرت الصحيفة، لم يكونوا اشخاصاً عاديين بل كانوا مسئولين كباراً في الدولة، وكان من بينهم السناتور الجمهوري ديفيد فيتر وراندال توبياس مساعد وزيرة الخارجية وهارلن اولمان المخطط العسكري الاستراتيجي في البنتاغون وصاحب نظرية «الصدمة والرعب» [Shock and Awe] في حرب العراق. وهذه السيدة الضابط ـ المومس تقدم اليوم للمحاكمة في احدى المحاكم العسكرية الاميركية التي قررت عزلها عن وظيفتها في البحرية الاميركية لكن عدم سجنها ان هي وافقت على تقديم تفاصيل عملها كمومس!

هذا غيض من فيض من حال الانحدار الاخلاقي الذي يشهده المجتمع الاميركي، والشواهد على ذلك كثيرة نعرض عنها لغرض الاختصار!

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[1].

---

(١) سورة طه: الآيات ١٢٤ و ١٢٥ و١٢٦.

التسامح والحريّات المتاحة

ثمة هامش كبير من الحرية في المجتمعات الغربية، وتحديداً المجتمع الامريكي، ويستطيع العاملون في حقل الدعوة الاسلامية التحرك من خلاله لنشر رسالة الاسلام السمحاء.

والحق، ان المجتمع الاميركي مجتمع متسامح إلى حد كبير، لايرى ضيراً في ان يقوم المسلمون او غيرهم ليس بممارسة شعائر دينهم فحسب بل بالدعوة إلى الاسلام في اوساط غير المسلمين، وتتمتع كافة المراكز الاسلامية في الولايات المتحدة بكامل الحرية بنشر الدين الاسلامي ودعوة الاخرين اليها للتعرف على الاسلام.

وتقوم كثير من المراكز الاسلامية في الغرب باستغلال الحرية التي يكفلها الدستور الاميركي لجميع المواطنين الاميركيين بغض النظر عن انتماءهم الديني. وسنوياً يحضر الالاف من المواطنين الاميركيين من غير المسلمين إلى المراكز والمساجد المنتشرة في الولايات المتحدة بهدف التعرف على الاسلام، وينتهي الأمر بكثير من هؤلاء إلى اعتناق الاسلام، وهو ما سأتحدث عنه في الفصل القادم.

اتذكر انه وفي اللقاء الذي ضمني والرئيس الاميركي السابق بيل كلينتون، طلب مني الرئيس ان اتحدث وان اطرح عليه بعض الاسئلة، فقمت ـ وكان ذلك قبل احداث ١١ سبتمبر ـ وطلبت منه ان يتدخل شخصياً لازالة العقبات والعراقيل من امام مشاركة المسلمين الكاملة في الحياة العامّة الامريكية، واتذكر انني خاطبته قائلاً: ان المسلمين في الولايات المتحدة لايشكون من سوء الاوضاع

الاقتصادية لأن اوضاعهم الاقتصادية جيدة، ولا يشكون ايضاً من قلة الحرية، فهم احرار في ممارسة شعائر دينهم اكثر من أي بلد اسلامي، ولكن المسلمين يشكون من الصورة النمطية التي يطلقها الاعلام الغربي المعادي للاسلام، عن الاسلام والمسلمين وتصويرهم على انهم أُناس متطرفون وارهابيون ومتخلفون !!

رد الرئيس الامريكي السابق بيل كلينتون بالقول:

ان الفرد الاميركي العادي يجهل ان الاسلام هو احد الاديان السماوية الثلاثة إلى جانب اليهودية والمسيحية، كما يجهل ابسط المبادئ عن الدين الاسلامي.

ثمّ اضاف: لقد كنت انا شخصياً اجهل الكثير عن الاسلام، حتى انتسبت ابنتي تشلسي إلى الجامعة، واخذت دروساً عن اديان العالم ومنها الاسلام، فكانت تأتي إلى المنزل لتثقيفي وامها هيلاري عن هذا الدين، فتعلمت منها الكثير !

ثمّ اضاف الرئيس كلينتون بأنكم أنتم المسلمون تعيشون في مجتمع حر يكفل لكم وبكامل الحرية تقديم الصورة الصحيحة عن الاسلام، فلماذا لاتستغلون هامش الحرية المتاحة وتقدمون الاسلام بصورته الجلية إلى المواطنين الاميركيين ؟!

وهذا الأمر شجعني ان اكتب كتاباً عن الاسلام من خلال تجربتي الشخصية باللغة الانكليزية اسمه **[American Crescent]** الهلال الامريكي، موجّه إلى القارئ الاميركي تحديداً. وقد قامت بنشر الكتاب دار راندوم هاوس **[Random House]** وهي احدى أكبر دور النشر الاميركية ...ولاقى الكتاب قبولاً مشجعاً من قبل القارئ الاميركي، إذ كتبت عنه عدد من الصحف الاميركية، وفي مقدمتها صحيفة نيويورك تايمز !

واني إذ ارى الكثير من الفرق والديانات هنا في الولايات المتحدة تقوم

وبتفانٍ كبير بنشر دعـوتها في اوسـاط الامـيركيين، يحـرقني ويـؤلمني تـقاعس الكثيرين من المسلمين عن اداء واجبهم في تعريف الاميركيين بـالاسلام، بـل ان روح الهزيمة بلغت عند بعض المسلمين ان يخفي دينه في محل عمله حتى لايكتشف الاخرون بأنه مسلم.

كنت في بداية قدومي إلى الولايات المتحدة في زيارة إلى مدينة ديـربورن الاميركية التي تضم أكبر جالية مسلمة في اميركا حيث كـنت ضـيفاً محـاضراً في المركز الاسلامي الذي أصبحت فيما بعد مرشده الديني، وذلك في شتاء عام ١٩٩٣. كنت يومها في منزل مضيفي مشغولاً بتحضير محاضرتي الرمضانية الليلية، وكان يوماً شديد البرودة مع تساقط الثلوج، إذ طرق الباب، ولما فتحت الباب فاجأني وجود شاب امامي في هذا البرد القارس يريد الدخول إلى المنزل والحديث بشأن أمر هام، ولما كنت يومها لا اتقن الانكليزية جيداً ولم يكن مضيفي في المنزل لم اشأ ان ادخل شخصاً غريباً إلى المنزل دون اذنه، اعتذرت من الشاب عـن السماح له بالدخول، ولكن بلغة مكسرة اسـتفهمت مـنه عـن مـايدعوه للـحديث مـعي، فاكتشفت انه جاء ليجندني للانتماء إلى مذهب «شهود يهوه» وهو مذهب حديث التأسيس انشق عن المسيحية، وله معتقدات غامضة. اعتذرت مـنه ولمـا اردت اغلاق الباب طلب مني الانتظار لحظة، واستخرج من شنطة كانت معه كتيباً انيقاً باللغة العربية يتحدث عن شهود يهوه. فهذا الرجـل حـتى بـعد اعـتذاري عـن استضافته، وعدم طلاقتي في اللغة الانكليزية، لم يتخل عن مهمته وعن امـله في تجنيدي من خلال تقديمه هذا الكتيب لي، عسى ولعل ان اعتنق ذلك المذهب!!

اخذت الكتاب واغلقت الباب واخذت ألاحقه بنظراتي من خلال النافذة، لأراه ينتقل إلى المنزل المجاور، وهكذا!

صرت أقول في نفسي إنّ هؤلاء على ضلال ولكن لهم ارادة حديدية في الدعوة إلى دينهم، لايفت في هذه الارادة قسوة البرد الشديد، ولا رفض الناس لاستقبالهم، فهم دائبون على مهمتهم رغم المعوقات، واما نحن المسلمون فنغزىٰ في عقر دارنا ولانفعل شيئاً يذكر في الدعوة لديننا كما يفعل هؤلاء!

اعود لأقول إن الحرية المتاحة للمسلمين في الولايات المتحدة في ممارسة شعائرهم ودعوة الاخرين إلى دينهم لايوجد لها نظير حتى في الدول الاسلامية. إذ أن حق العبادة، حق مقدس يحميه القانون ويحترمه الناس، كما هو حق التعبير عن الرأي الذي يحميه ويكفله القانون..

ناهيك عن ان المجتمع الغربي رغم مافيه من سيئات إلّا انه لايخلو من حسنات كثيرة...

فالحرية والديمقراطية واحترام الاديان ومبدأ سيادة القانون كلها مفاهيم انسانية، تلتقي مع الاسلام ورسالته العظيمة في خطوطها العريضة، وهذا ما يفسر الكلام المنسوب إلى المغفور له السيّد جمال الدين الافغاني الذي قام في منتصف القرن التاسع عشر بجولة في عدد من الدول الغربية مثل روسيا القيصرية و فرنسا وبريطانيا، ولما عاد إلى الشرق الاوسط قال كلمته المشهورة: ذهبت إلى الغرب فوجدت اسلاماً بلا مسلمين وعدت إلى المشرق فوجدت مسلمين بلا اسلام...

لقد عشت في الولايات المتحدة مايقرب من الستة عشر عاماً ولاحظت بحسب تجربتي غياب ظاهرة «الواسطة» المتفشية في بلادنا، والتي تحولت إلى داء ينخر في مجتمعنا. فما لم يكن لديك شخص تعرفه في الحكومة، فلن تتمكن من انجاز معاملة واحدة تتعلق بدوائر الدولة. انك لن تستطيع استخراج الجواز أو الجنسية أو اجازة السياقة أو الوثيقة الفلانية، أو الرخصة الكذائية، حتى يكون لديك من

معارفك في مرافق الدولة من يسهل لك تلك المهمة، وبغير ذلك سيطول انتظارك قبل ان تتمكن من انجاز المعاملة وقد لاتتمكن اصلاً من انجازها. وهذا يفسر غياب دولة القانون في بلادنا.

اما في الولايات المتحدة، فالقانون يطبق على الجميع سواسية، حتى على ابنة رئيس الجمهورية، ويتم مساءلتها ان هي خالفت القانون...

أتذكر انني قرأت في احدى الصحف الامريكية في عهد الرئيس السابق كلينتون انه حين عاد من سفرته الرئاسية إلى اليابان التي كان قد سافر اليها على متن الطائرة الرئاسية، كانت ترافقه زوجته هيلاري وابنته تشيلسي التي اخذت بدورها معها في الرحلة رفيقتها في المدرسة، وبما ان القانون يقضي بأن للرئيس الحق بمرافقة من يريد من افراد اسرته وليس غيرهم على متن الطائرة الرئاسية، فإنه وعند عودة الرئيس، ارسلت له الحكومة الامريكية بفاتورة طلبت منه تسديدها وكانت الفاتورة تضم مبلغ ١٢ الف دولار هي اجور سفر زميلة ابنته تشيلسي على متن الطائرة الرئاسية!

وقرأت ايضاً مرة ان ابنة حاكم فلوريدا جيب بوش كانت قد زوّرت وصفة طبية للحصول على دواء وحين اكتشفها الصيدلاني المسئول اتصل بجهاز الشرطة الذي سارع لاعتقالها رغم معرفته بأنها ابنة الحاكم الذي سارع إلى الاعلان عن دعمه لاجراءات الشرطة بحق ابنته رغم انفه!

ان هذا لايحدث في بلادنا مطلقاً ولو تجرأ صيدلاني في بلادنا على ان يفعل مافعله الصيدلاني في فلوريدا لتم اعتقال الصيدلاني وعشيرته جميعاً، ولم يسمع احد عنهم بعد ذلك، ولأصبحوا في خبر كان!

إن بلادنا العربية والاسلامية في الغالب ـ ليست إلّا لعبة بيد الحاكم وابنائه

وعشيرته ـ يتصرفون دون رادع من القانون، لأنهم دائماً وابداً فوق القانون، كل القانون!

واتذكر أن بعض الصحف الاميركية ذكرت ان الرئيس كلينتون حين خرج من سدة الرئاسة وغادر البيت الابيض عام ٢٠٠١ استخرج معه خطأً بعض الاثاث المتعلق اصلاً بالبيت الابيض، ولما اتصلت به الجهات المسئولة واعلمته وخيرته بين اعادة الاثاث أو دفع قيمته؟، اختار ان يدفع قيمته وهو مبلغ ٤٥ الف دولار بالتمام والكمال!

ومن الطريف انني كنت اقرأ قبل ايام في صحيفة نيويورك تايمز التي احرص على قراءتها ـ لأنها من الصحف الموزونة في اميركا ويقرؤها قرابة المليون يومياً ـ ان الرئيس كلينتون حين غادر البيت الابيض لم يكن يملك شيئاً من المال، إذ اضطر إلى ان يدفع كل امواله لتسديد فواتير المحامين الذين قاموا بالدفاع عنه لدى المحاكم ضد تهم التحرش الجنسي التي وجهت اليه، ولتسديد تسويات مالية لنساء اتهمنه بالتحرش بهن في مقابل اسقاطهن الدعوىٰ!

اما اليوم (ابريل ٢٠٠٨) فهو وزوجته السناتورة هيلاري كلينتون يملكان ثروة تقدر بـ ١٠٩ ملايين دولار. اما كيف حصل على هذه الثروة؟ فتقول الصحيفة ان نصفها تقريباً (٥٢ مليون دولار) حصل عليها الرئيس من خلال محاضرات القاها بعد مغادرته البيت الابيض لقاء اجور تصل إلى ٢٥٠ الف دولار لقاء كل محاضرة!

واما النصف الثاني لثروته (٥٧ مليون دولار) فأكثرها جاءت نتيجة لأجور دفعت للرئيس وزوجته لقاء كتابة مذكراتهما!

واعود لأذكر حقيقة مهمة ابتدأت بها، وأنهي بها هذا الفصل وهي ان

الأرضية للدعوة الاسلامية في الولايات المتحدة متاحة بشكل كبير، وان المرء يجد امامه فرصة ذهبية لنشر الاسلام، من خلال مايجد من الحرية الواسعة لما يريد.

لقد قمت ـ ومنذ احداث الحادي عشر من سبتمبر ـ بالقاء محاضرات في ما يزيد على ٢٧٠ كنيسة وكلية وجامعة، وكانت محاضراتي لشرح الاسلام لجمهور غير مسلم في الاغلب وهذا يشير بالاضافة إلى وجود هامش كبير من الحرية، يشير ايضاً إلى تسامح المجتمع الاميركي بشكل عام، وتقبله لمختلف الاراء والمعتقدات، واستعداد الكثير من الاميركيين لسماع وجة نظر اخرى قد لاتتفق ومعتقداتهم، بغض النظر عن قبولهم لوجهة النظر هذه أم لا.

والحق انني المس في اكثر هذه اللقاءات تقبلاً لدى المستمعين قد لايصل إلى حد اعتناق الاسلام ولكن يزيل الكثير من التحفظ الذي يبديه البعض تجاه الاسلام.

ورغم ان استطلاعات الرأي التي اجريت مؤخراً تشير إلى ان نسبة عالية من المجتمع الاميركي تصل إلى ٤٦٪ تنظر إلى الاسلام بسلبية[1] إلّا ان استطلاعات الرأي هذه تعكس حالة وقتية جاءت نتيجة الاحداث السياسية الطارئة، ولاتعكس حالة متأصلة لدى الشعب الامريكي الذي يجهل الكثير عن الاسلام.

---

(١) صحيفة الواشنطن بوست بتاريخ ٩ مارس ٢٠٠٦.



الفصل الثاني

اهداف الدعوة الإسلاميّة في الغرب

١ ـ نشر الإسلام

٢ ـ انقاذ الاجيال الضائعة

٣ ـ احتضان الشباب

٤ ـ عدم اقصاء المرأة

٥ ـ تفعيل دور المسلمين



نشر الإسلام

ان من اهم اهداف الدعوة الاسلامية في الغرب هو نشر رسالة الإسلام السمحاء. يقول عزّ من قائل: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾[1].

ولاشك ان نشر الدعوة الإسلامية لايتم إلّا عبر المنطقْ والبرهان، وليس السيف والصولجان. ولما أراد المسلمون الاوائل الرد على المشركين واذاهم وطلبوا من الرسول ان يأذن لهم بالجهاد بالسيف نهاهم القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[2] وأمرهم بجهاد الكلمة بدلاً عن جهاد السيف.

ولم يأمر الاسلام أتباعه قط ان يشهروا السيف ليرغموا الناس على قبول الاسلام وإنّما ترك أمر اختيار العقيدة للناس ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[3] وحدد وظيفة الرسول بالانذار لا الارغام ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[4].

ولكن الاسلام شجع على اعتماد القول الحق، والاخذ باحسن الاراء واكثرها منطقية وعقلانية ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٩.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٣٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٤) سورة الغاشية: الايتان ٢١ و ٢٢.

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[١].

وغني عن القول ان للاسلام بريقاً عظيماً لايدركه ولايراه إلّا ذوو الضمائر الحرة والبصائر النافذة، ولذا تراهم ينشدون إلى الاسلام بكل حرارة وجاذبية. وكثيراً ما اجد في هؤلاء المعتنقين الذين اعتنقوا الاسلام حديثاً، حماسة لا اجدها لدى غيرهم من المسلمين الذين ولدوا في اسر مسلمة، والسبب يعود إلى ادراك هؤلاء حقيقة الاسلام حق الادراك، ولانهم ذاقوا طعم الايمان الذين منّ به الله سبحانه عليهم فلا يهدأ لهم بال، ويقر لهم طرف.

يقول سبحانه **﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**[٢].

ولاشك ان التحليل المنطقي والاستدلال العقلي هو الذي يقود الكثير من الاميركيين إلى اعتناق الاسلام.

وإذ استقبل مايقارب الاثنين إلى ثلاثة اشخاص يعتنقون الاسلام شهرياً لديّ، استمع إلى قصص اعتناقهم والدوافع التي دفعتهم إلى اعتناق الاسلام، فأجد الكثير منهم يؤكد على ان الحقيقة هي التي قادته إلى اعتناق الاسلام.

واذكر ان طالبة اميركية تحضر لمرحلة الدكتوراة في جامعة ميشغن ـ أن آربر وهي من الجامعات المرموقة جاءت إلى مكتبي بهدف اشهار اسلامها، وحين سألت عمن يكون الشخص الذي ساعدها للاهتداء إلى الاسلام والتعرف عليه

---

(١) سورة الزمر: الايتان ١٧ و ١٨.

(٢) سورة الانعام: الآية ١٢٥.

فقالت: الله! ان الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي هداني إلى الاسلام من خلال البحث والمطالعة والتمحيص الذي اخذ مني جهداً طويلاً استمر معي سنوات، اهتديت على اثرها إلى دين الاسلام.

ولاشك ان كنوز المعرفة والدعاء في الاسلام هي أيضاً تلعب دوراً في تحريك عواطف الكثير من معتنقي الاسلام، فيتأثرون بروحانية الاسلام، وعمق المدرسة المعرفية فيه.

سألت اختاً مسلمة اميركية اعتنقت الاسلام مؤخراً عن اجمل مارأت وماقرأت في الاسلام فقالت ان اجمل ماقرأته في الاسلام هو عبارة وردت في دعاء الصباح للإمام عليّ عليه السلام يقول فيها: «إِلٰهِي قَرَعْتُ بَابَ رَحْمَتِكَ بِيَدِ رَجَائِي....».

تحدثت هذه الاخت ـ وقد خنقتها عبرتها، ودموعها تنحدر – عن الامل الكبير الذي تمنحه هذه العبارة الواردة في هذا الدعاء الشريف للفرد المسلم، الأمل برحمة الله وغفرانه...

وكثيراً مايبدي بعض غير المسلمين الاعجاب ببعض الممارسات والعبادات الاسلامية التي قل ان نمنحها نحن المسلمون الاهتمام الكافي وندرك كنهها. فهذا البابا يوحنا بولص الثاني يبدي اعجابه في مذكراته «عبور عتبة الأمل» بتركيز الاسلام على الصلاة، وتشجيعه المسلمين التمسك بها. كما يبدي اخرون اعجابهم بالصيام وتطهيره للنفس، بل انني تعرفت على بعض الاميركيين غير المسلمين الذين يشاطرون المسلمين الصيام في شهر رمضان، اعجاباً منهم بهذه الشعيرة، التي تشجع المسلم على تذكر معاناة الفقراء ومشاطرتهم تلك المعاناة من جهة وتعينه على تقوية الارادة لديه من جهة أخرى، ولما لها من آثار صحية ايجابية من جهة ثالثة.

ورغم اشتداد الحملة الاعلامية المناوئة للاسلام في الولايات المتحدة وخصوصاً بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر إلّا ان الاسلام يبقى اسرع الاديان انتشاراً فيها حتى اليوم، إذ يعتنقه عشرات الالاف سنوياً.

وقد نشرت جريدة نيويورك تايمز مقالاً مفصلاً بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر[1] ذكرت فيه ان اعداد المعتنقين للاسلام قد تضاعفت بعد تلك الاحداث الدامية اربع مرات، اذ كان عدد معتنقي الاسلام يصل إلى ٢٥ الف شخص سنوياً ليتضاعف بعد تلك الاحداث ليصل إلى مئة الف سنوياً فيهم الكثيرون من المثقفين والمهنيين وأبناء الفئة العليا من الطبقة المتوسطة.

وتذكر الجريدة المذكورة في تفاصيل الخبر ان محامية اميركية من ولاية اوهايو اكبّت وبدافع من الفضول بعد الاحداث الدامية على مجموعة من الكتب الاسلامية لتتعرف من خلالها على هذا الدين الذي يشرّع للارهاب ويبيح قتل الابرياء ـ حسب رأيها ـ لتكتشف بعد قراءتها لهذه الكتب زيف تلك التصورات، وبالتالي تعتنق الاسلام بعد احد عشر يوماً فقط من قرارها استكشاف حقيقة الاسلام!

واعود إلى الحقيقة التي أسلفتها من قبل وهي ان الشعب الاميركي شعب طيب ومتسامح لكنه يجهل الاسلام تماماً ولايعرف عنه شيء، بل يحمل مسبقات ذهنية وتصورات خاطئة زرعها في ذهنه الاعلام المعادي، والذي يتمتع بقوّة كبيرة ويؤثر تأثيراً بالغاً في نفوس وعقول الاميركيين بل يحركها حيثما يشاء، ويوجهها كما يريد.

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ١٤ اكتوبر ٢٠٠١.

ومن خلال المحاضرات التي القيها على غير المسلمين أفاجأ لشدة الجهل الذي يخيّم على مستمعّي من غير المسلمين بحقيقة الاسلام إلى درجة أنهم يسألونني احياناً عن الفرق بين الدينين المنتشرين في الشرق الاوسط وهما «الاسلام» و«المسلمين». يسألونني عن الفرق بين دين «الاسلام» ودين «المسلم»، اذ يتصورون أنهما اسمين لدينين! وأرى علامات الذهول تختفي حين اخبرهم ان المسلم هو المتلبس بالاسلام، فالاسلام دين ومعتنقه يسمى مسلماً كالمسيحية التي هي اسم الديانة والمسيحي من يعتنقها!

وتعشعش في اذهان الكثير من الاميركيين مفاهيم فادحة الخطأ عن الاسلام والمسلمين. فهم يتصورون ان المرأة المحجبة إنّما تتحجب خوفاً من زوجها، كما يتصورون أنها لاتخلع حجابها على الاطلاق حتى في حال نومها، ويتصور الكثير منهم ان اكثر الرجال المسلمين متزوجون من أكثر من إمرأة، باعتبار ان الاسلام يبيح تعدد الزوجات.

وحين سقط صدام وخرج العراقيون يهللون لسقوطه، وأخذ بعضهم يضرب صورته بالنعال والقبقاب اتصل بي قسيس مسيحي اميركي ليسألني عن تفسير هذه الظاهرة ولما شرحت له ان هذا تعبير عن مشاعر العراقيين المتأججة ضد صدام سألني وكان جاداً ان كانت هناك آية في القرآن تأمر بضرب صورة الطغاة والمغضوب عليهم بالنعال؟! هذا فضلاً عن ان بعض الاميركيين ـ وبتأثير من الدعاية المضللة المعادية للاسلام – يعتقدون ان المسلمين يبيحون قتل كل مسيحي ويهودي ويرون ان قتلهم هو الجواز إلى الجنّة!

ويكثر الحديث في الاعلام دوماً عن اعتقاد المسلمين بـ «العذارى الـ ٧٢» اللواتي ينتظرنهم في الجنّة، ويفسرون كل عملية انتحارية أو استشهادية بأنها

محاولة للسباق والحصول على هؤلاء العذارىٰ في اسرع وقت ممكن وكأنهم في ماراثون!

ويعتقد كثير من الامريكيين ان من تراه من المسلمين امامك قد يكون ارهابياً مستعداً لتفجير نفسه في اي لحظة، وهو ما يفسر الخوف المشهود من الاسلام والمسلمين **Islamo-phobia** ولسوء الحظ فإن ممارسات بعض المتطرفين في العالم الاسلامي، لابل الارهابيين المحسوبين على الاسلام اليوم قد ساعدت في تكوين هذه الصورة النمطية عن الاسلام والمسلمين لدىٰ المواطن الاميركي. ولم يقم المسلمون – وللاسف الشديد – بما يكفي لتثقيف المواطن الاميركي وتوعيته عن الاسلام مما ساعد على استفحال الجهل المتفشي بالاسلام.

ومما يؤسف له حقاً ان الدول العربية والاسلامية النفطية، لم تفعل شيئاً ايضاً في هذا المجال. فبالرغم من ان رساميل الدول العربية النفطية في الولايات المتحدة قد بلغت مئات المليارات من الدولارات إلّا انها لاتنفق شيئاً لتحسين صورة الاسلام لدى الفرد الاميركي.

نعم تقوم بعض دول النفط العربية الثرية بإنفاق الملايين من الدولارات سنوياً لا على نشر الاسلام وتحسين صورته في الغرب، وإنّما على الدعاية الوهابية، ونشر المذهب الوهابي في اوساط المسلمين خصوصاً الناشئة والشباب، وهم تمكنوا من خلال اموال النفط من السيطرة على كثير من المساجد الاسلامية من خلال تمويلها وتأمين حاجاتها المادية شريطة ان تقوم هذه المساجد ببث الدعاية الوهابية، وان تتحول منطلقاً للفكر الوهابي السلفي.

كما تمكنوا من السيطرة على بعض فروع «منظمة الطلبة المسلمين» المعروفة اختصاراً باسم [MSA] ـ وهي منظمة طلابية اسلامية نشطة لها فروع في اكثر

الجامعات الاميركية ـ وتمكنوا من نشر الفكر الوهابي المتطرف بين الجيل الناشيء. ونشروا الاحقاد والعداوات ضد الفرق والمذاهب الاسلامية التي لاتلتقي مع فكرهم المتطرف، الأمر الذي مكنهم من إنشاء جيل من الشباب المتطرف، ضيّق الافق، يسخر طاقاته لا لمحاربة اعداء الاسلام بل لمحاربة الاخوة في الدين.

انقاذ المسلمين واحتضان الشباب

يعيش اليوم في الولايات المتحدة مايزيد على ستة ملايين مسلم، منتشرون في خمسين ولاية اميركية، وكما اسلفنا من قبل فان بعض هؤلاء المسلمين وفي ظل غياب العلماء والتوعية الاسلامية، إنحرف عن الطريق واختط لنفسه طريقاً اخر، أو اعتنق مذاهب أخرى ...وان اكثر الفئات التي يخشىٰ عليها من المسلمين هم فئة الشباب المولودين في تلك البلاد، والذي نشئوا في احضان عاداتها وتقاليدها، واكثرهم لا يعرف لنفسه وطناً سوى الولايات المتحدة، حيث هاجر اباؤهم وامهاتهم اليها من اوطانهم الاصلية، ونشأ هؤلاء في هذه البلاد وتطبعوا بعادتها وتعلموا لغتها ودرسوا في مدارسها وجامعاتها. ولعمري فأنها بلاد يطلق اهلها عليها كما اسلفنا اسم [Melting Pot] «البوتقة الصاهرة» التي تصهر كل اللغات والأعراق بداخلها لتخلق مزيجاً جديداً صار اسمه «اميركا».

صحيح ان المسلمين اليوم في الولايات المتحدة وبخاصة فئة الشباب يعيشون حالة الصحوة الاسلامية التي اجتاحت ليس العالم الاسلامي فحسب، بل حتى الجاليات المسلمة في الغرب، فتجد على سبيل المثال انتشار موجة الحجاب، واصبح منظر الفتاة المسلمة المحجبة مألوفا في كل جامعة وكلية اميركية، إلّا أن الواقع يشير ايضاً إلى ان قطاعاً يعتد به من قطاعات الجالية الاسلامية تعرض إلى التغريب والذوبان في ظل هذا التيار الجارف والثقافة المهيمنة التي تنتزع وبقوة طبقات الحصانة الاخلاقية لدى الشباب المسلم.

جاءني زوجان شابان مسلمان من اصل عربي ذات يوم يريدان

الطلاق، وحين استفسرت منها عن اسباب رغبتها في الطلاق اخبرتني الزوجة انها تزوجت قبل فترة وجيزة من هذا الشاب، واكتشفت بعد فترة ان الزوج ليس مسلماً.

توجهت إلى الزوج الشاب وسألته عن صحة ماتقوله زوجته فاجابني ان ماتقوله صحيح!

سألته: لماذا إخترت ديناً غير الاسلام؟ وماالذي وجدته في الاسلام حتى اعتنقت غيره (كان الشاب قد تنصر)؟

قال: انني لا احسن الحديث باللغة العربية، وكان والداي يأخذانني إلى احد المراكز الاسلامية التي لاتتحدث إلّا بالعربية، فمللت الذهاب إلى هذا المركز، وتعرفت ذات يوم على قسيس مسيحي طيب عرفني على المسيحية ودعاني إلى بيته، وكان ينفق الساعات الطويلة من وقته ليعرفني على المسيحية، وكان صبوراً يتحمل كل اسئلتي التي كانت تنطوي على شيء من التحدي والتشكيك، واخيراً فاني ولاعجابي بأخلاق هذا القسيس ولاقتناعي بالمسيحية قررت اعتناقها والتخلي عن الاسلام!!

تأسفت كثيراً لما سمعت، وآلمني ان ارى شاباً في مثل عمره وطاقته يتعرض لمحاولة غسل الدماغ يختلس على اثرها دينه وعقيدته. ثمّ اخبرته ان لاداعي إلى الطلاق، فان الزواج يفسخ اتوماتيكياً إذا اختار الزوج المسلم اعتناق دين آخر لأن الاسلام يحرم ان تكون عصمة المرأة المسلمة في يد غير المسلم!

ان الجاليات المسلمة في الغرب بأمسّ الحاجة إلى علماء مسلمين واعين يوجهون الناس نحو الدين وينقذونهم من براثن الفساد والضلال والانحراف. والحق ان المدن الاميركية لاتخلو واحدة منها اليوم من المراكز الاسلامية التي

انتشرت في كل انحاء الولايات المتحدة، وربما يزيد عدد المراكز والمساجد عن الواحد والاثنين في مدينة واحدة قد لاتعد من كبريات المدن الاميركية، ولكن المسلمين هنا يعانون من نقص حاد في عدد المرشدين والواعظين الاكفاء. وغالباً ماتستعيض المراكز الاسلامية عن دور الإمام المناوب أو مانسميه في المصطلح الفقهي بالإمام الراتب، بدور الإمام المؤقت وهو في اكثر الحالات ليس رجل دين، ولم يتعلم في أي معهد ديني، ويكون في الغالب طبيباً أو محامياً أو أحد المهنيين لابل حتّى سائق تاكسي من ابناء الجالية!

ولا اريد هنا الاستهانه بالطبيب أو سائق التاكسي، فهذه كلها مهن شريفة ونعتز بها، ولكن المشكلة ان الطبيب أو سائق التاكسي مالم يكن متمرساً في الدين ومتخرجاً من احد المعاهد أو الحوزات العلمية الدينية المرموقة فهو لن يتمكن من معالجة ادواء المجتمع وبالتالي لن يكون قادراً على مواجهة التحدي الكبير الذي تواجهه الجاليات والاسر المسلمة في الغرب.

ومن خلال تجربة السنوات التي عشتها في الغرب، والاسفار التي اقوم بها في مختلف الولايات المتحدة الاميركية لزيارة الجاليات المسلمة فيها، اكتشفت وجود مراكز اسلامية كبيرة خالية من وجود العلماء والمرشدين الدينيين الأمر الذي انعكس على مستوى الثقافة الاسلامية لدى ابناء الجالية، هذه الثقافة التي اضحت احياناً ضحلة بل تقارب الجهل المطبق بتعاليم الاسلام، وقد وجدت بعض المترددين على هذه المراكز لايفقه في الاسلام شيئاً ولايكاد يميزه شيء في جهله بالاسلام، عن غيره من سائر الاميركيين غير المسلمين.

وقد اخبرني احد الاصدقاء من العلماء العاملين في الساحة الاميركية أنه سأل احد هؤلاء عن معرفته في الاسلام فقال ان كل ماقرأه وعرفه من الاسلام هو الوصايا العشر! جهلاً منه بأن الوصايا العشر هي تراث مسيحي وليس تراثاً اسلامياً وان اتفق مع مضمونها الاسلام!

تفعيل دور المرأة

ان المجتمعات الاسلامية التقليدية – وبسبب الموروثات الفكرية والمسبقات الذهنية – قامت بتهميش دور المرأة في المجتمع، وهو الأمر الذي انعكس على دورها في الجاليات المسلمة في الغرب. فكل الادوار في مجال الدعوة والارشاد والتبليغ احتكرها الرجل، وغيبت عنها المرأة، والمجتمع الغربي حساس جداً تجاه هذا الموضوع. إذ ينظر الغربيون وبخاصة الاميركيون إلى المسلمين باعتبارهم اناساً يحتقرون المرأة ويصادرون دورها.

ومن خلال احاديثي إلى غير المسلمين أرىٰ ان الموضوع الذي يغلب السؤال عنه، حتى تحول إلى هاجس كبير لدى الكثير منهم، هو موقف الاسلام من المرأة. وتتعاقب اليّ الاسئلة عن دور المرأة في الاسلام فأسأل عن الحجاب أو عن السبب في عدم تولي المرأة ادارة المراكز والمؤسسات الدينية، وعدم توليها لصلاة الجمعة والجماعة.

وبينما نجد ان الاسلام قد كرّم المرأة واعطاها حقوقها وبوّأها مكانة عالية في المجتمع إذ يقول الرسول ﷺ: «**النساء شقائق الرجال**»[1]، ويقول القرآن الكريم – مؤكداً على المساواة في العمل والاجر بين المرأة والرجل ﴿**أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى**﴾[2]. وحين اتت إلى رسول الله احدى الصحابيات تشتكي ان

---

(١) سنن أبي داوود ج١ ص٥٩ ح٢٣٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

الرجال قد ذهبوا بالاجر كله نزل القرآن الكريم ليكرس موقع المـرأة إلى جـانب الرجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْـمُسْلِمَاتِ وَالْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ وَالْـقَانِتِينَ وَالْـقَانِتَاتِ وَالصَّـادِقِينَ وَالصَّـادِقَاتِ وَالصَّـابِرِينَ وَالصَّـابِرَاتِ وَالْـخَاشِعِينَ وَالْـخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْـحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1].

بينا نجد كلّ هذا التكريم للمرأة في الاسـلام، نجـد ان بـعض المسـلمين في الولايات المتحدة متأثرون بنظرائهم في الدول الاسلامية لايزالون يعاملون المـرأة باعتبارها سقط المتاع ويهمشون دورها إلى حد كبير.

فكثير من المؤسسات والمراكز الاسلامية في الولايات المتحدة تقوم بالفصل التام بين الرجال والنساء، إذ يتم تخصيص صالة للنساء غالباً ماتكون في الطـابق السفلي، تفوح منها رائحة العفونة والرطوبة، ضعيفة الانارة، كما يتم ارسال جميع الاطفال إلى تلك القاعة وكأن اسكات الاطفال ورعايتهم ليس إلّا واجب المرأة. اما الرجال فلهم في العادة القاعة الرئيسية في المساجد والمراكز والمتحدث مـنهم، والمستمعون منهم أيضاً، واما النساء فكأنما جيء بهن لرعاية الاطفال واسكاتهم فقط.

وغالباً ماتشتكي النساء من انهن لا يتمكنّ من متابعة المحاضرات بسـبب الضجيج والضوضاء التي يحدثها الفصل التام والاطفال، فتتحول مجالس النساء في المراكز إلى مناسبات لتبادل الحديث عن الاولاد وهمـوم الاسرة واسـعار المـواد التموينية في الاسواق، وكذا عن المحلات التي تقدم التـنزيلات الكـبرى! دون ان

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٥.

يتسنى ـ وبسبب تركيبة هذه المراكز وطريقة تقسيمها ـ لهؤلاء النسوة الاستفادة من المحاضرات والكلمات التي تقدم في هذه المراكز.

وحتّى في اوقات الصلاة فان المرأة إن تسنىٰ لها المشاركة فيها، فإنما يتم ذلك من وراء الواح كبيرة تفصل الطرفين، وتعود المشكلة لتظهر من جديد، اذ تتحول اقسام النساء في الصلاة إلى مسرح للعب الاطفال وضجيجهم بما يؤثر على الجميع.

ولو عدنا إلى حياة رسول الله ﷺ، لوجدنا ان النساء كن يشاركن الرجال في الصلاة دون قواطع والواح، وانما كن يقفن في الصفوف الخلفية، خلف الرجال ولم يحدث ذلك ازمة بين المسلمين، وذلك برأيي لعدم وجود تيار متطرف يزايد على المسلمين ذلك اليوم!

هذا ناهيك عن ان بعض المراكز الاسلامية في الغرب تمنع كلياً دخول المرأة ومشاركتها سواء في الصلاة أو في البرامج الثقافية التي يقدمها المركز، وذلك خلافاً لوصية الرسول ﷺ: «لا تمنعوا اماء الله مساجد الله!»[1]. ان هذا الاسلوب من التعامل مع المرأة يقدم للاعلام الاميركي وجبة ساخنة كان يبحث عنها ليقوم بالتشنيع على الاسلام والمسلمين وليخلص بأن الاسلام دين لايحترم المرأة ولايقيم لها وزناً وإنّما هو دين الرجال.

وعلى صعيد الدعوة نجد ايضاً ان الرجال هم المحتكرون لهذا الدور ونادراً ان تجد امرأة مسلمة تتحدث، وتلقي بالمحاضرات، وتقيم الندوات والحلقات. بينما نجد ان الكنيسة البروتستانتية وكذا المؤسسة اليهودية الحاخامية في الولايات المتحدة،

---

(١) بحار الأنوار ج٨٧ ص٣٥٤.

تقوم بتعيين نساء برتبة «قسيس» أو «حاخام» تقوم المرأة بقيادة شئون المؤسسة الدينية -كنيسة أو بيعة -، وترؤس القداس، وتقديم العظات والمحاضرات، وتعميد الاطفال، وما إلى ذلك من الشئون والوظائف التي كانت تقتصر تاريخياً على الرجال.

واما على الصعيد الاداري، حيث تخضع كل أو جل المراكز الاسلامية، -وغير الاسلامية ايضاً -إلى مجلس ادارة يدار من قبل هيئة امناء، ونادراً ان تجد امرأة بين اعضاء هيئة الامناء التي يهيمن عليها وكالعادة الرجال، وهو الأمر الذي يتحول دوماً إلى مدعاة للسؤال من قبل الاخرين وتحديداً الاميركيين الذي يجدون ذلك نوعاً من التمييز غير المبرر ضد المرأة.

ولاشك انه يوجد بين المسلمين كفاءات نسوية على مستوى عال من الكفاءة الادارية، إذ ان كثيراً من المسلمات في الولايات المتحدة قد تخرجن من المعاهد والجامعات، وبينهن الطبيبات والمحاميات والمهندسات ونساء اعمال. وبعضهن يحملن شهادات علمية متفوقة، بل واعرف الكثير من الاخوات المسلمات ممّن يدرسن في الجامعات والمؤسسات الاكاديمية الاميركية، فهل يعقل انه لاتوجد واحدة بين هؤلاء تصلح ان تكون «عضواً» في هيئة ادارة المراكز والمؤسسات الدينية؟

والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان إقصاء المرأة ودروها يتم في أجلى صوره لدى الجاليات المسلمة التي جاءت في الاصل من مناطق معروفة بتحفظها الشديد تجاه المرأة، واقصاءها من الحياة العامّة كلياً. بينما نجد ان تهميش المرأة يكون أخف منه لدى الجاليات المسلمة التي عرفت نوعاً من التسامح والانفتاح تجاه المرأة في اوطانها الاصلية. فعلى سبيل المثال، في المراكز الاسلامية التي يسيطر

عليها الاخوة الهنود والباكستانيون تكاد لاتجد دوراً يذكر للمرأة اطلاقاً. فالنساء يدخلن إلى هذه المراكز من الباب الخلفي المفضي إلى مقصورة النساء التي ينطلق دوماً منها الضجيج، ويتم الفصل التام بينها وبين الرجال، وهي لا تتمكن من مشاهدة الخطيب أو المتكلم وهو يتحدث، ولايمكن لرجل ان يلمح خيالها رغم انها تكون في المركز الاسلامي بكامل حجابها. والمفارقة الغريبة، انك إذا خرجت إلى مواقف السيارات بعد انتهاء الصلاة والمحاضرة تجد هؤلاء النسوة قد تحررن من الحجاب الذي كن يتلفعن به، ويرمينه جانباً، ليخرجن بأبهى حلة واجلى زينة، يعلو وجوههن المكياج واحمر الشفاه.

وإذا توجهت إلى المراكز الاسلامية التي يسيطر عليها الاخوة اللبنانيون - على سبيل المثال - فأنك تجد المرأة وهي محجبة في كامل حجابها، تجلس في جانب من القاعة، والرجل يجلس في جانب من القاعة، في جو يسوده الهدوء والاصغاء التام لحديث المتكلم. وكذلك الأمر في قاعات الصلاة حيث تشارك النسوة الرجال في الصلاة من خلال المشاركة في الصفوف الخلفية متأسّين بسنة الرسول ﷺ، دون ان يتسبب ذلك في مشاكل هي غير موجودة اصلاً.

ولا اريد ان يفهم القارئ اني اروج للاختلاط واحارب الفصل بين الجنسين، لأني لا اقصد ذلك قطعاً، ولاارمي إليه، ولكني اعتقد ان اجتماع الرجال مفصولين عن النساء وهن محجبات في قاعة واحدة بهدوء وانصات خير من فصلها في قاعات تسبب الضوضاء الذي يعيق الحضور - نساءً ورجالاً - من الاستماع إلى المحاضرات والاستفادة منها، وبالتالي اعطاء صورة غير طيبة عنا كمسلمين.

واما على صعيد العمل الاجتماعي، فلابد للقيمين على العمل الاسلامي في

الغرب من تشجيع المرأة للعب دور اكبر في قضايا الجالية الاجتماعية والمساعي الانسانية، والمنظمات الخيرية ...إذ اعود لأقول أن هذه الادوار في الغالب محتكرة من قبل الرجال.

واتذكر انني حضرت مؤتمراً في جامعة جورج تاون الاميركية لمناقشة قضايا المسلمين المعاصرة، ومنها دور المرأة في الجاليات الاسلامية فذكر احد المتحدثين في مداخلته اننا كمسلمين نتحدث دوماً عن ان الاسلام اعطى المرأة حقوقها، وأنه يواكب العصر بتفعيل دورها، ولكنا إذا اردنا ان نعطي الشواهد على ذلك نضطر إلى ان نعود ١٤ قرناً إلى الوراء لنعطي من التأريخ عن السيدة خديجة عليها السلام مثلاً، إذ ليس لدينا نماذج معاصرة نستشهد بها!

تفعيل دور المسلمين

ان من اهم اهداف الدعوة الاسلامية في الغرب وتحديداً في الولايات المتحدة هو تفعيل دور المسلمين، وحثهم على العطاء، والنشاط، والمشاركة في الحياة العامّة.

وباعتقادي فان المسلمين لن يتمكنوا من التأثير في محيطهم الغربي إلّا بعد المشاركة الفعالة في هذه المجتمعات، هذه المشاركة القائمة على خدمة قضايا الاسلام، والقضايا الانسانية، وتكريس العدل الاجتماعي والمواطنة الصالحة... وهذا الامر يتطلب العمل على ثلاثة محاور:

١ - المحور الأول: المشاركة السياسية

ان ممّا لاشك فيه ان المسلمين المغتربين سواء منهم من استوطن اوربا أو الولايات المتحدة أو غيرها من دول الغرب قد اصبحوا - شاؤا ام ابوا - جزءً من المجتمعات التي هم فيها. ويصبح المهاجر جزء من هذه المجتمعات منذ ان تطأ قدماه ارض البلاد الجديدة. وهو وان لم يشارك بشكل مباشر في النظام السياسي إلّا انه ومن خلال دفعه للضريبة - وهي وظيفة لايتخلف عنها مواطن - إنّما يساهم بشكل أو بأخر في هذا النظام.

وهناك من المسلمين من يجادل حول جدوى المشاركة السياسية للمسلمين في بلاد الغرب سواء من خلال التصويت للمرشحين او الترشيح للمناصب العامّة، بحجّة ان انظمة بلاد الغرب معادية للاسلام والمسلمين، وانها منحازة دوماً لصالح

اسرائيل، فلا خير يأتي من المشاركة سوى اضفاء طابع الشرعية على هذا النظام المعادي للاسلام.

وأنا لا اتفق مع هذا الرأي بتاتاً واعتقد ان المشاركة السياسية ان تمت بشكلها الصحيح فستسهم بشكل كبير بتحقيق انتصارات للمسلمين في دول الغرب لم تكن في الحسبان.

ان النظام السياسي الغربي وتحديداً الامريكي هو نظام مفتوح، بمعنى ان اي شخص يمكن ان يشارك فيه بل وينجح ايضاً إذا احسن التزام الشروط الموضوعية للنجاح، وضمن الرؤية التالية:

١ - العمل السياسي يتطلب انضمام المرشحين إلى احد الحزبين السياسيين الرئيسيين في الولايات المتحدة: الحزب الديمقراطي، والحزب الجمهوري. ولأسباب كثيرة ومعقدة وتخرج بنا عن محور الكتاب، يحتكر هذان الحزبان العمل السياسي في الولايات المتحدة. إذ يندر ان ينجح احد من المرشحين في الانتخابات إذا نزل اليها مستقلاً، ودون دعم من احد هذين الحزبين.

وهذان الحزبان يشتركان في بعض النقاط ويختلفان في نقاط اخرى. ومن اهم الأمور التي يجمع الحزبان الديمقراطي والجمهوري عليها هو - وللاسف - مناصرة اسرائيل مناصرة مطلقة عمياء، وسأتحدث عن هذا الأمر بتفصيل عند الحديث عن القوى المناهضة للاسلام في الغرب.

وتكاد هذه القضية تكون الوحيدة التي يجمع عليها الحزبان، وماعدا ذلك فنقاط الاختلاف كثيرة، ومن اهمها انه على صعيد السياسة الخارجية يميل الحزب الديمقراطي إلى تجنب المواجهات العسكرية مع خصوم اميركا أو تقليلها إلى ادنى مستوى، بينما يغامر الجمهوريون، بشن حروب ضد خصوم الولايات المتحدة.

وإذا تتبعنا الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة في الأربعين سنة الماضية وجدنا أكثرها تمت تحت إدارات جمهورية، كحرب فيتنام في الستينات من القرن الماضي، وحرب الخليج الأولى ١٩٩١، وحرب العراق ٢٠٠٣.

واما على صعيد السياسة الداخلية فان الحزب الديمقراطي يعد الاقرب إلى ابناء الطبقة المتوسطة، والفقيرة، والاقرب إلى الاقليات العرقية والدينية والشواذ جنسياً.

اما الحزب الجمهوري فيعد حزب الاثرياء، وأصحاب رؤس الأموال وهو اقرب كذلك إلى المسيحيين المحافظين.

ومن هنا فان اَي ساعٍ للمشاركة في الحياة السياسية سواء من المسلمين أم من غيرهم لابد ان يطرق الحياة السياسية من احدى البوابتين الديمقراطية او الجمهورية.

ويرى الكثير من المسلمين ان الحزب الديمقراطي باعتباره مناصراً للاقليات، هو الاقرب إلى رؤاهم وتطلعاتهم، وهذا ما يفسر السبب في ان كل من حاول من المسلمين المشاركة في الحياة السياسية، حاول ذلك من خلال كسب تزكية الحزب الديمقراطي. وهذا ايضاً يفسر فوز أول عضو مسلم في الكونغرس الاميركي كيث اليسون والذي تم انتخابه في العام ٢٠٠٦، وانه إنّما فاز بعد تزكية الحزب الديمقراطي له، للترشيح عن ولاية مينوسوتا الاميركية.

اذن فالمفتاح الأول للدخول والتأثير في العملية السياسية وبالتالي الفوز، هو كسب تزكية احد الحزبين.

اما المفتاحان الاخران فهما:

٢ – الصوت الانتخابي: ان الصوت الانتخابي يحسب له في الولايات

المتحدة الف حساب، وكلما زاد عدد الاصوات التي تمتلكها الجماعات المؤثرة، كان لها تأثير كبير في الانتخابات، وتؤثر بالتالي حتى على المرشحين واداءهم من خلال المساومة معهم. ففي مقابل اعطاء المرشحين اصوات الناخبين، لابد للمرشحين الاستجابة لمطالب الجماعات المؤثرة.

وبهذا يتبين السبب في تهافت جميع المرشحين على شراء اصوات اليهود. فعلى الرغم من ان اليهود لايشكلون اكثر من ٢٪ من الشعب الاميركي، إلّا انهم منظمون ويشاركون جميعاً في الانتخابات ويصوتون ككتلة واحدة لصالح المرشحين. وبعكس السود الذين لايأبه اكثرهم بالانتخابات والتصويت فيها، نتيجة الجهل وقلة الوعي السياسي، رغم انهم يشكلون ماتصل نسبته إلى ٢٠٪ من الشعب الاميركي، فان اليهود يحرصون كلهم على التوجه لصناديق الاقتراع والمشاركة في التصويت.

والغريب ان اليهود لايشكلون في ولاية نيويورك سوى ٩٪ من سكان تلك الولاية، ولكنهم يشكلون في الواقع مايقارب الـ ٩٠٪ من صوتها الانتخابي[1]. والسبب ان بقية سكان الولاية - وأكثرهم من السود - لايشاركون في التصويت بينما يشارك اليهود جميعاً دون استثناء.

ويعتبر اليهود المشاركة الانتخابية والتصويت فريضة دينية، فضلاً عن كونها واجباً وطنياً، لانها تضمن لهم انتخاب من يرونه متعاطفاً معهم واسقاط من لم يكن كذلك.

وإذا نظرنا اليوم إلى نسبة المسلمين في الولايات المتحدة نجد ان نسبتهم

(١) جريدة الحياة اللندنية بتاريخ ١٨ / ١٠ / ٢٠٠٠.

تقارب نسبة اليهود وقد تزيد عليها (إذ تصل إلى ٢٪ حيث يصل عدد المسلمين إلى ستة ملايين)، إلّا انه ليس للمسلمين شأن كبير في أي انتخابات، سواء الانتخابات الرئاسية أم انتخابات الكونغرس أم الانتخابات المحلية، عدا عن بعض الحالات التي تبشر بالخير مؤخراً. وهذه الانتخابات يحرص اليهود على جميعها بالمشاركه والتصويت.

اما المسلمون فان اكثرهم يختار ان لايصوت بحجة ان الصوت الواحد لن يكون له تأثير. ثمّ ان المسلمين وإلى فترة قريبة لم تكن لديهم منظمات سياسية قوية كاليهود تحدد لهم اسماء المرشحين المتعاطفين مع قضاياهم ليصوتوا مجتمعين فيما يعرف بـBlock Vote، ولذلك تتشتت اصواتهم على مرشحين متعددين، وبالتالي تفقد التأثير المطلوب.

٣ - المال: وهو العامل الثالث ولربما الاقوى في المعادلة الانتخابية في الولايات المتحدة. إذ يضطر المرشحون - ولكي يكسبوا عدداً أكبر من اصوات الناخبين - ان ينفقوا اموال التبرعات، وكلما جمع المرشح مبلغاً من المال اكبر، مكنه ذلك من كسب عدد اكبر من الاصوات وذلك من خلال الدعاية الاعلامية التي يضطر لبثها من اجل كسب الاصوات.

وهنا يلعب اليهود دوراً اكبر، إذ ينفقون مئات الملايين من الدولارات على المرشحين سواء الديمقراطين او الجمهوريين في مقابل وعود من المرشحين بدعم قضاياهم وعلى رأسها اسرائيل. وتنظم اثناء الحملات الانتخابية موائد وحفلات لجمع التبرعات لهذا المرشح أو ذاك، وتجد اليهود في رأس قائمة المتبرعين.

وتقوم منظمة ايباك اليهودية، وهي المنظمة المعروفة بأنها تمثل اللوبي المساند لاسرائيل في الولايات المتحدة، بتنظيم تبرعات اليهود، وارشاد المتبرعين

اليهود إلى الجهة المفضلة التي يجب ان تذهب اليها الأموال.

اما المسلمون في الولايات المتحدة، فهم لم يدركوا بعد اهمية توظيف المال في المعادلة الانتخابية الاميركية، ورغم ان بعضهم، وبدافع غيرته على القضايا الاسلامية يبدي سخاءً في مساندة بعض المرشحين المعروفين بمواقفهم المساندة لقضايا العرب والمسلمين، إلّا انه لايوجد وجه للمقارنة بين ما يسهم به اليهود في العملية الانتخابية، ومايقدمه المسلمون. ولقد ذكر لي الصديق جيمس زغبي رئيس المعهد العربي الاميركي في واشنطن ان اليهود تبرعوا في انتخابات عام ٢٠٠٠ بما تصل قيمته إلى ٣٥٠ مليون دولار، بينما لم تزد تبرعات العرب الاميركيين على الـ ٣٠٠ الف دولار!

وعلى كل حال فان المشاركة في الحياة السياسية سواء بالتصويت أم التبرع للمرشحين هي مفتاح من مفاتيح التأثير في السياسة الاميركية. وسأضرب بعض الأمثلة عند الحديث عن القوى المناهضة للاسلام في الولايات المتحدة، عن مدى تأثير الجالية اليهودية في الحياة السياسية الاميركية، وتعاظم تأثيرها في السنوات الاخيرة، بحيث يضطر كل المرشحين السياسيين لمجاراتهم، ومما لأتهم، لعلمهم بأن اللوبي اليهودي قادر على التأثير المباشر في الحياة السياسية، وذلك من خلال حسن استخدامه للقنوات المؤثرة في العملية السياسية، وبخاصّة الصوت الانتخابي وتوظيف الأموال.

٢ - المحور الثاني: الجانب الثقافي

ان من اهم مايجب ان يلتفت إليه الدعاة في الساحة الاميركية هو مواكبة مايعتمده النظام الغربي في التأثير على الجماهير وتوجيهها ومن وسائل سمعية

(اذاعات) وبصرية (فضائيات) بالاضافة إلى المؤتمرات والندوات واللقاءات.

ان وسائل التأثير الجماعي تلعب اليوم دوراً كبيراً في توجيه الجماهير وبناء ثقافتها، من خلال المخاطبة الموائمة لعقلية المتلقي والأخذ بنظر الاعتبار لحاجاته النفسية والاجتماعية:

أ - الفضائيات: ان الولايات المتحدة بلد حر، تقوم مئات القنوات الفضائية فيه بمخاطبة المشاهد الاميركي ومحاولة الاستحواذ على اهتمامه. وتنقسم هذه الفضائيات من حيث محتوى المادة المقدمة إلى الجمهور إلى اقسام متنوعة. فمنها الاخبارية ومنها الترفيهية، ومنها التخصصية، ومن الفضائيات العاملة في الولايات المتحدة توجد محطات البث الديني، والتي يسيطر عليها في الغالب المسيحيون التبشيريون [Evangelicals]. وهذه محطات يشاهدها مايزيد على سبعمائة مليون شخص في داخل الولايات المتحدة وخارجها.

وهناك وعاظ اميركيون يعتمدون بالدرجة الأولىٰ على البث التلفزيوني في تقديم برامجهم التي يشاهدها الملايين، وهؤلاء يتحدثون في العادة في تجمعات ضخمة «ستاديوم» يزيد عدد المشاهدين فيه على ٣٠ الف شخص. ويستأجر هؤلاء الوعاظ - وهم اثرياء بشكل عام - خبراء في التسويق والدعاية وعلم النفس يقدمون لهم النصائح في تقديم برامجهم في ابهى حلة، وافضل نوعية لكي يتقبلها المجتمع الاميركي، ويقبل على شراءها.

ومن هؤلاء الوعاظ الواعظ الشاب الشهير جويل اوستين الذي يتحدث في قاعات ضخمة تضم عشرات الالاف من الاشخاص، ومن ثم بث محاضراته في قنوات تبشيرية متخصصة يشاهدها الملايين من الناس.

وقد بدأت في الاونة الاخيرة بعض المحاولات المتواضعة، في الجالية المسلمة

لانشاء قنوات فضائية تتحدث الانكليزية وموجهة إلى الشعب الاميركي خصوصاً المسلمين، وتعرض برامج وثائقية وتثقيفية جيدة، إلّا ان هذه المحاولات لاتزال في مراحل النمو الأولى وبحاجة إلى قطع مشوار طويل، إلّا انها تستحق الثناء على كل حال.

وامنيتي ان تؤسس قناة تلفزيونية اسلامية، كبرىٰ على مستوى الولايات المتحدة تقوم ببث برامج ملائمة للعقلية الاميركية، وفي ذات الوقت تقدم الاسلام إلى المشاهد الاميركي بأسلوب متعقل ورصين دون ان تنزل إلى مستوى مشين يعود بالضرر وردة الفعل، ويزيد من نفور المشاهدين الاميركيين من هذا الدين الحنيف.

ب ـ الاذاعات: ان وسائل البث السمعي تقوم بلعب دور كبير جداً في الحياة الاميركية. اذ ان ملايين الاميركيين يستمعون الى الراديو والمحطات الاذاعية في طريقهم من وإلى عملهم يومياً، إذ يقضي الاميركيون عشرات الساعات اسبوعياً في سياراتهم وهم ينتقلون في الطرقات السريعة الاميركية.

ومن هنا برزت مجموعة من الاذاعات - كاذاعة **NPR** - والشخصيات الاذاعية لتلعب دوراً كبيراً في صياغة الذهنية العامّة لدى المستمع الاميركي. وهذه الاذاعات والشخصيات الاذاعية تتأرجح في مواقفها بين اليمين واليمين المتطرف إلى الوسط ثمّ اليسار واليسار المتطرف. وتقوم بعض هذه الاذاعات بتعبئة الاجواء المشحونة ضد المسلمين من خلال برامج الـ **Talkshow** التي تعرضها. ولهذه الاذاعات شعبيتها وجمهورها الذي يتأثر كثيراً بأدبياتها وموادها التي تقوم ببثها.

ويبقى ايضاً غياب الصوت الاسلامي، والاذاعة الاسلامية التي تقدم برامج اسلامية وباللغة الانكليزية، تبقى مشكلة تقض مضاجع العاملين على الساحة

الاميركية، وتصبح حلماً ينشده كل غيور على الاسلام في تلك البلاد.

ج - الصحف والمجلات: اميركا هي بلاد الصحافة الحرة، وتصدر فيها عشرات الالاف من المجلات والصحف اليومية، والاسبوعية والشهرية. وهي صحافة في غاية التنوع، ففيها الصحافة ذات الطابع السياسي، والاقتصادي والديني والاجتماعي والنسوي وحتى الجنسي الفاضح.

وتحتل خمس صحف يومية وثلاث مجلات اسبوعية موقع الصدارة في الصحافة الاميركية، وهي نيويورك تايمز، يواس‌اي توداي، وول ستريت جورنال، لوس انجلس تايمز، وواشنطن بوست. ومجلة التايم، والنيوزويك، ويو اس نيوزاند ورلدريبورت.

ولعل اكثر الصحف اليومية اتزانا وموضوعية والأكثر قراءة بين النخبة المثقفة هي صحيفة نيويورك تايمز، إذ يزيد قراؤها على المليون[١] يومياً وتقترب مبيعاتها من الاربعة مليارات دولار سنوياً[٢]. واما عدد يوم الاحد فهو مكتبة كاملة. إذ يزيد عدد صفحاته على الالف صفحة وفيها ملحق مفصل يحتوي على مجلتين رصينتين واحدة للمقالات: **[New York Times Magazine]** والاخرى لمراجعة الكتب حديثة الصدور **[Book Review]** وقد تأسست هذه الجريدة في العام ١٨٥١ وتملكها اليوم اسرة يهودية ـ نيويوركية وناشرها اليوم اليهودي ارثر سالزبرغر. ولايفوتني ان انوه ان الصحيفة المذكورة رغم موضوعيتها الظاهرية إلّا انها تناصر اسرائيل وتدافع عن اليهود بأسلوب مباشر تارة ـ من خلال اعمدة

---

(١) راجع en.wikipedia.org/wiki/The-New-York-Times وبحسب الموقع هذا، فان عدد قراء الصحيفة يومياً يصل إلى ١,١٢٠,٤٢٠، وأمّا عدد الاحد فيصل إلى ١,٦٢٧,٠٦٢ قارئ.

(٢) راجع en.wikipedia.org/wiki/The-New-York-Company

مشاهير الكتاب فيها امثال وليام سافير وهو من غلاة الصهاينة وتوماس فريدمان وهو من معتدلي اليهود ـ أو بأسلوب غير مباشر من خلال تسليطها الاضواء على اليهود ومنجزاتهم، واخبار اسرائيل والمقالات التي تنشرها لكتاب متعاطفين مع الصهيونية.

ورغم ذلك، فالصحيفة ماتفتأ بين الحينة والأخرى، تكتب مقالات موضوعية بل مناصرة احياناً للمسلمين، وتحديداً للجالية المسلمة في الولايات المتحدة. وكاتب الشئون الاسلامية فيها هو نيل مكفاروك، وهو صديق، ويتحدث العربية، وزارني اكثر من مرة في مكتبي وكتب العديد من المقالات الايجابية عن المسلمين، وكان مراسل الصحيفة لسنوات طويلة في القاهرة.

وهناك العشرات من المجلات والصحف الكاثوليكية والمسيحية، واليهودية سواء التي تنشر على مستوى ولايات بعينها ـ كمجلة ديترويت جويش نيوز التي تطبع وتوزع في ولاية ميشغن ـ ام التي تطبع وتوزع على مستوى الولايات المتحدة عموماً.

اما على المستوى الاسلامي، فالأمر يختلف كلياً. فهناك محاولات مشجعة لكنها متواضعة ايضاً. ولابد ان اشير إلى بعض الصحف والمجلات الاسلامية التي تنشر في الولايات المتحدة مثل مسلم اوبزرفر، والمنارة، والجمعة، وافاق اسلامية من الصحف والمجلات التي تبشر بخير، ونتمنى لها النجاح الكامل باذن الله.

ح ـ انتبه القائمون على العمل الاسلامي والدعاة في الولايات المتحدة إلى اهمية اقامة المؤتمرات السنوية التي تبرز لحمة الجالية الاسلامية، وتقوي من اواصر الاخوة بينها، وتقدم الغذاء الفكري لابناءها، وهي بعد ذلك ملتقى للاسر الاسلامية تتعارف من خلال المؤتمرات على بعضها البعض. كما تجد فيها الاسر

المسلمة مناسبة لاختيار عروس مسلمة لابنها الذي يبحث عن زوجة أو عريس لفتاتهم التي بلغت مبلغ الزواج وتريد اسرتها تزويجها إلى مسلم قبل ان يسبق إلى قلبها شخص غير مسلم. وهذه مشكلة اصبحت اليوم تقض مضاجع الكثير من الاباء والامهات في المجتمع الغربي. فهذه مجتمعات مفتوحة، ويتعرف الشباب على بعضهم البعض في الملأ وخصوصاً على مقاعد الدراسة. فكثيراً ما تجد الفتاة المسلمة نفسها تجالس شاباً غير مسلم علىٰ مقاعد الجامعة، ونتيجة للاحتكاك المباشر، والتعارف التلقائي وشئون المذاكرة، تتكون احياناً رابطة عاطفية بينهما، لتتحول إلى رغبة في الزواج. والاسلام ـ كما نعلم ولاسباب حكيمة، ترتبط ربما بحضانة الاطفال بعد الطلاق والتي تعود في اغلب الاحيان إلى الاب ـ حرم زواج المسلمة من غير المسلم. وهنا تحدث المأساة حين تصر الفتاة على الزواج من هذا الشاب غير المسلم وتقوم بتحدي الاسرة، وينتهي الامر إلى كارثة!

واحياناً تطلب الفتاة من الشاب غير المسلم اعتناق الاسلام لكي تقبل به زوجاً، ولكن هذا الاعتناق يبقى ـ في اغلب الاحيان ـ مثار الشك والريبة، إذ ينكشف فيما بعد ان الشاب لم يكن مقتنعاً بالاسلام بمقدار رغبته في الزواج من تلك الفتاة المسلمة، هذه الرغبة التي دفعته إلى التظاهر بقبول الاسلام، على خلاف قناعته الشخصية.

وهذا مايدفع بالاهالي إلى الحرص على توفير المناخ الاسلامي الملائم الذي يسمح للشباب والشابات المسلمين التعرف على بعضهم البعض في اجواء يسودها العفة والاحتشام، الأمر الذي يسهل زواج الشاب المسلم من الفتاة المسلمة وعلى العكس، ويقلل من احتمالات زواج الشاب بغير المسلمة، والفتاة المسلمة بغير المسلم.

واعود إلى الموضوع لاقول ان القائمين على العمل الاسلامي في الغرب انتبهوا إلى اهمية عقد مؤتمرات سنوية تقوم بأداء الاغراض التي عرضناها. فكانت هناك محاولات جيدة في هذا المجال. وهنا لابد ان اشير إلى المؤتمر السنوي الذي تنظمه الجمعية الاسلامية في شمال اميركا المعروفة اختصاراً بـ«إسنا» [ISNA].

ويحضر في مؤتمر إسنا الذي ينعقد سنوياً في نهاية شهر آب، عشرات الالاف من المسلمين، ويشارك فيه مئات المتحدثين على اختلاف اطيافهم ومشاربهم.

وقد دعيت اكثر من مرة إلى المؤتمر المذكور وتحدثت فيه رغم ان بعض المسيطرين على المؤتمر هم من المتشددين السنة، الذين قلما يوجهون الدعوة لرجال الدين المسلمين الشيعة للحديث في هذا المؤتمر السنوي. وكان السيّد محمّد خاتمي رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية السابق ضيف هذا المؤتمر في العام قبل المنصرم (٢٠٠٦) والتقيته على هامش المؤتمر وسألني عن روّاد المؤتمر وخلفياتهم الذهنية، فأخبرته ان اكثر الحاضرين هم من الاسر المسلمة السنية المقيمة في الولايات المتحدة وفيهم بعض الاسر المسلمة الشيعية ايضاً. ويشهد المؤتمر المذكور بازاراً زاخراً تباع فيه الكتب والمجلات والمطبوعات الاسلامية.

وقد قام عدد من المسلمين الشيعة وقياداتهم، وكنت احدهم ـ مستوحين من اخوانهم السنة في الجمعية الاسلامية في شمال اميركا ـ بتأسيس رابطة بأسم «الجمعية الاسلامية العالمية» المعروفة باختصار بـ" أمة " [UMAA]، حذت حذو اختها «إسنا» في تأسيس مؤتمر سنوي تشارك فيه الاسر المسلمة، ويتحدث فيه العشرات من المتحدثين. وتحيي المنظمة مؤتمرها السنوي السادس هذا العام (٢٠٠٨) بينما تحيي إسنا مؤتمرها السنوي الواحد والاربعين. ولاشك ان عدد المشاركين في مؤتمر " أمة " هو اقل من المشاركين في مؤتمر «إسنا» ولكن حضور

مايقرب من ثلاثة الاف شخص رقم لايستهان به في الولايات المتحدة!

٣ - المحور الثالث: تفعيل الدور الإجتماعي:

ان من الظواهر الايجابية التي يلاحظها المرء في الولايات المتحدة، هي ظاهرة العمل التطوعي. إذ ينخرط ملايين الاميركيين في العمل التطوعي للاعمال الخيرية، واكثر هؤلاء المتطوعين هم من النساء أو كبار السن والمتقاعدين. وهؤلاء يقدمون العون المجاني لما تطلبه المؤسسات الخيرية مثل "Salvation Army" جيش الانقاذ، وهو منظمة وطنية تعني برعاية الفقراء ومثلها United Way وكذلك الصليب الاحمر الاميركي.

وينخرط هؤلاء الاميركيون في انشطة انسانية لمساعدة الفقراء والمعوزين والمتشردين الذين يصل عددهم في الولايات المتحدة إلى ثلاثين مليونا! كما يقوم الامريكيون بتقديم مليارات الدولارات سنوياً للمؤسسات الخيرية، لتتمكن من مواصلة مهماتها الانسانية. وقد بلغت حصيلة التبرعات التي قدمها الشعب الامريكي للمنظمات والمراكز الخيرية، وغير الربحية في العام ٢٠٠٥، ٢٤٨ مليار دولار[١]، وهو رقم كبير بكل المقاييس، خصوصاً إذا اخذنا بنظر الاعتبار ان ميزانية دولة بحجم لبنان لاتتجاوز الاربعة مليارات دولار سنوياً!

ومن الملفت حقاً ان كثيراً من المؤسسات الدينية المسيحية واليهودية في الولايات المتحدة تقوم بادارة مشاريع خيرية كبرى، كالمستشفيات والمستوصفات، وذلك لعلاج المدمنين، والفقراء وغيرهم.

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ١٤ نوفمبر ٢٠٠٥.

وقد اخبرني ذات مرة الكاردينال آدم مايدا وهو الاسقف الاكبر لديترويت ان الكنيسة الكاثوليكية في ولاية ميشغن تدير وتمتلك ثلث مستشفيات الولاية!

وقد حضرت ذات مرة اجتماعاً عقد في البيت الابيض في اوائل العام ٢٠٠١ دعيت إليه إلى جانب العديد من رجال الدين المسيحين واليهود، وحضره الرئيس جورج بوش، وكان الغرض من الاجتماع اعلان الرئيس بوش عن نيته السماح للمؤسسات الدينية التي تدير مشاريع انسانية وخيرية بالحصول على مساعدات فيدرالية. وكان قد خصص مبلغ عشرة مليار دولار لهذا الغرض علماً أن القانون ـ حتى ذلك الوقت ـ كان يحظر تقديم مساعدات من الدولة الاميركية إلى اية مؤسسة دينية تحت أي عنوان من العناوين بذريعة فصل الدين عن الدولة.

ولكن ـ للأسف ـ فان المستفيد الاكبر من مبادرة الرئيس بوش كان اليهود والنصارى وليس المسلمين، إذ ان كنائس المسيحيين وبيع اليهود هي التي تدير مثل هذه المشاريع، ولها القدرة والامكانية والرغبة للقيام بذلك.

اما مساجد ومراكز المسلمين فلم يحصل احدها على شيء من تلك المساعدات، والسبب ببساطة ان المراكز الاسلامية لاتدير مثل هذه المشاريع الخيرية ويقتصر دورها على الجانب الديني البحت كأقامة الصلاة والمحاضرات. وبالتأكيد فإن قيام المسلمين في الولايات المتحدة بتأسيس مشاريع خيرية مثل دور العجزة، والمستوصفات الخيرية، ومؤسسات الاغاثة الانسانية سيقوّي من اواصر المسلمين مع المحيط الذين ينشطون فيه، وبالتالي سينعكس ذلك على صورة الاسلام في اذهان الاميركيين الذين سيجدون فيه ديناً انسانياً يعينهم على التغلب على مشاكلهم وصعابهم ، ويوفر بالتالي الارضية المناسبة لدى كثير من الامريكين لقبول الاسلام.

الفَصلُ الثَّالِثُ

شروط الدعوة

* ليكن بمعروف
* تجنب الزاوية الحادة
* تنوع الاسلوب
* الوسطية في الخطاب الديني
* تأهيل المراكز الإسلاميّة
* ترتيب الاولويات

ليكن بمعروف

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[1].

لقد اكد الاسلام على كل العاملين في سبيل الله، ومنهم الأنبياء عليهم السلام والمصلحون والأئمة الراشدون عليهم السلام ان يلتزموا بالدعوة الحسنى، والموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة، وهم يبلغون رسالات الله والدعوة إلى دينه.

وقد نهى الاسلام الدعاة والعاملين في سبيل الله عن الخشونة في التعامل والغلظة في الاسلوب والفظاظة في الكلام. فيقول سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2] و دخل جمع من اليهود ذات يوم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإلى جانبه السيدة عائشة فقالوا: السام عليكم، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: وعليكم!

فقالت عائشة: عليكم السام واللعنة والغضب يامعشر اليهود يااخوة القردة والخنازير! فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ياعائشة ان الرفق لم يوضع على شيء إلّا زانه وان الخرق لم يوضع على شيء إلّا شانه!

قالت: اوما سمعت إلى ماقالوا!

قال صلى الله عليه وآله وسلم: بلى اوما سمعت ماقلت![3]

لقد ضرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المثل الاعلى للمسلمين، وللعاملين في حقل

---

(١) سورة طه: الآيتان ٤٣ و ٤٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) الرسول الاكرم مدرسة اخلاق لحسن القزويني ص٧٢ دار البيان ١٩٩١.

الدعوة الاسلامية، خاصّة بالتزام الادب والخلق الرفيع وهو يدعو الناس إلى الله سبحانه ويشجعهم على اعتناق الاسلام. وحين امر الله سبحانه نبيه موسى عليه السلام بالذهاب إلى ذلك الكافر المتجبر فرعون الذي كان يرى نفسه إلهاً من دون الله، لم يأمره الله سبحانه، بتسديد لكمة إلى وجه فرعون لعلوه وتجبره، وإنّما امره ان يقول له قولاً ليناً ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[1] لان اعتماد القول اللين والاسلوب الهادئ قد يجره إلى قبول الحق والاذعان به.

ولو كان موسى عليه السلام استفز فرعون منذ البداية بالكلمات النابية والاحتجاجات الصارخة، لاتخذ فرعون من ذلك وسيلة لتبرير عدم ايمانه بالله، ولأثار عنده مكامن الكبرياء في اقصى درجاتها، ولربما تسبب حتى في قتل نفسه.

إن استعمال الاساليب اللينة والكلمات الطيبة هو ادعى للناس لقبول الحق والاذعان به، ومن هنا نجد ادب الاسلام في دعوة الكفار إلى الله، وكان ادباً رفيقاً لايستفزهم ولايحقرهم ولايسخر منهم.

يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[2] ولاشك ان الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن في شك في ايمانه واهتداءه وضلالة خصومه، ولكن القرآن الكريم لم يشأ ان يستثير كوامن الكبرياء لدى الكفار بوصمهم بالضلال والخطل لان ذلك من شأنه ان ينقض الغرض من الدعوة وهو التأثير في الناس واجتذاب قلوبهم وكسب عقولهم لتقبل برسالة الاسلام.

ان على العاملين في حقل الدعوة الاسلامية في الغرب ان يضعوا في الحسبان

---

(١) سورة طه: الآية ٤٤.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٤.

ان استفزاز الاخرين من شأنه ان يفوّت الفرصة على الدعاة، ويتيح لخصومهم سلاحاً يستعملونه لأفشال مهمة الداعين إلى الله عَزّ وجَلّ.

كما ان علىٰ العاملين في حقل الدعوة الاسلامية، في وسط غير اسلامي ان يركزوا على القواسم المشتركة التي تربط الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية، لا على الاختلافات الموجودة، لأن ذلك ادعى لغير المسلمين ـ وخصوصاً أهل الكتاب ـ بقبول الدعوة. اما إذا تم التركيز فقط على نقاط الاختلاف الموجودة بين الاسلام والديانات السماوية فان ذلك من شأنه ان يجعل مهمة قبول اتباع هذه الديانات للاسلام مهمة اشبه بالمستحيلة. إذ لا احد يوّد أن يسمع انه واباءه واجداده كانوا يعيشون في ضلال مبين، وثمة من يوجد هنا من يدعي انه المهتدي الوحيد!

الاحظ احياناً بعض السذج من المسلمين حين يتكلمون امام غير المسلمين إنّما يتحدثون بلهجة استعلائية فيها الكثير من الحط بهم، والاعتداد والفخر بالاسلام كونه خير الاديان!

وهذا الكلام رغم انه صحيح في حد ذاته إلّا انه فاشل فشلاً ذريعاً في تجنيد اَي من غير المسلمين وتحويله إلى مسلم!

ان من اهم مايجب ان يحرص عليه الداعية المسلم في بلاد الغرب ان لايحاول ايجاد الشعور بالاثم والادانة لدى مستمعيه حين الحديث عن عظمة الاسلام وبطلان الاديان الاخرى. ان الشعور بادانة اديان المستمعين، لاشك سيكون له اثر عكسي، يقضي على احتمالات تقبل هؤلاء لدين الحق. وكما قال الحديث: من امر بمعروف فليكن أمره ذلك بمعروف[1]!

---

(١) كنز العمّال: ٥٥٢٣.

واعود لاستلهم من سيرة الرسول ﷺ دروساً تعين الدعاة في الغرب على اداء مهمتهم بأحسن وجه.

لقد دخل اعرابي إلى مسجد الرسول ﷺ وكان يدخله لأوّل مرة، وبسبب طبيعته البدوية فهو لم يألف تقاليد الحضارة الاسلامية، وحين اضطر لقضاء حاجته، صنع كما كان يصنع لو كان في منطقته البدوية. عمد إلى زاوية في مسجد الرسول ﷺ وتبوّل فيها!

ضج المسلمون والصحابة واراد بعضهم ضربه وتأديبه لتنجيس مسجد الرسول ﷺ، فزجرهم النبيّ ﷺ عن ذلك وأمر باراقة شيء من الماء على محل التبول وتطهيره، ثمّ قال: كونوا ميسرين ولاتكونوا معسرين، وان منكم لمنفرين![1].

لقد اراد هؤلاء المسلمون القشريون التحفظ على نص التشريع (حرمة تنجيس المسجد) واراد النبيّ ﷺ منهم التحفظ على روح التشريع، وان الاسلام جاء رحمة للعالمين، ولم يأت نقمة، لكي لاينتهك هؤلاء كرامة هذا الرجل بحجّة تنجيس المسجد!

حقاً ان في المسلمين اليوم لمنفرين، ينفرون الناس عن الدين واتباع الدين ويعطون ـ من خلال سلوكهم المقيت ـ صورة سيئة عن الاسلام تزيد من نفور غير المسلمين من الاسلام!

ان بعض المسلمين المتطرفين في الولايات المتحدة يلعن كل ماهو اميركي، ويهاجم كل شيء اميركي!

---

(١) الرسول الاكرم مدرسة اخلاق ص٢٠٩.

وحـجتهم في ذلك ان امـيركا دولة عـدوة للـمسلمين وصـديقة وداعـمة لاسرائيل. وهذا الكلام في الواقع يصدق على الادارة الامـيركية، وخـصوصاً في سياستها الخارجية، اما الشعب الاميركي فلايجوز تحميله اخطاء حكومته، لانـه والحق يقال ان كثيراً منهم لايوافق على سياسة حكـومته، ولايـؤيد السـياسات الخرقاء التي تمارسها الادارة الاميركية.

وعلى كل حال، إذا اردنا ان نكسب ود الاميركيين ونشجعهم عـلى قـبول الاسلام، فلابد من اعتماد خطاب عقلاني هادئ ومتزن مع الليونة في الطرح.

تجنّب الزاوية الحادّة

ذكرنا في الفقرة الأولى من شروط الدعوة ان يتم العمل الدعوي بمعروف، أي ان يكون الداعية مثالاً للرفق واللين، واتباع سيرة النبيّ ﷺ وسنته في دعوة الناس إلى الله تعالى.

ونشير هنا إلى نقطة مهمة يجب ان يأخذها الداعية في الحسبان عند ممارسته للدعوة الاسلامية في الغرب، وهي تجنب الزاوية الحادية. واعني بذلك ان يتجنب الداعية اثارة امور قد لاتفيده في غايته، وقد تؤلب عليه الناس من دون ان يدرك ذلك.

يروى ان ام حكيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن أبي جهل جاءت إلى الرسول ﷺ عام الفتح واسلمت على يديه ولقيت منه خلقاً فاضلاً، فأرسلت إلى زوجها عكرمة تحثه على الرجوع إلى مكّة، وان يسلم على يدي الرسول ﷺ، وكان عكرمة قد فر من مكّة حين تحقق عنده انتصار الرسول ﷺ، وذلك بسبب جرائم ارتكبها هو وابوه ابو جهل بحق الرسول ﷺ والمسلمين.

لم تزل به زوجته حتى اقنعته بالعودة، ولما جاءت زوجته إلى النبيّ لتخبره بقرب مجئ عكرمة إليه، التفت النبيّ ﷺ إلى أصحابه وقال ﷺ: يأتيكم عكرمة مهاجراً فلاتسبوا اباه فان سب الميت يؤذي الحي ولايبلغ[١].

---

(١) الرسول الاكرم مدرسة اخلاق ص٢٥١.

لقد اراد النبيّ ﷺ ان يتجنب الزاوية الحادة مع عكرمة ـ وهي ذكر ابيه ابي جهل بسوء ـ وكان المسلمون يلعنون اباه لمواقفه السوداء تجاه الاسلام، وأراد الرسول ﷺ ان يراعي مشاعره وقد اوشك ان يسلم، ولم يرد النبيّ ﷺ ان تكون ممارسة المسلمين هذه سبباً لاصرار عكرمة على كفره!

اتذكر ان قسيساً مسيحياً جاء يوماً لزيارتي وطلب مني باسم منظمة ـ وهي تضم مجموعة من القساوسة المسيحيين ـ ان اتحدث اليهم وان يكون حديثي «لماذا أنا لست مسيحياً»؟

استغربت الطلب ولم اشأ لنفسي ان اتحدث عن مثل هذا الموضوع الحساس امام مجموعة من القساوسة المسيحيين لعلمي ان مثل هذا الموضوع ومناقشته قد يؤدي إلى جرح مشاعرهم، ولربما اشعال نار العداوة في قلوبهم تجاهي وتجاه الاسلام!

اعتذرت إلى القسيس بأني لا احبذ الحديث عن مثل هذا الموضوع ولكن بدلاً من ذلك، اقترحت ان اتحدث عن المشتركات بين المسيحية والاسلام!

اصر القسيس على الموضوع وقال: انك لست مسيحياً، ونحن القساوسة المسيحيون نريد نقداً موضوعياً لديننا ليمكننا بالتالي من تحديد الثغرات فيه، والتمكن من سد هذه الثغرات!

قبلت في النهاية، واعددت مجموعة من الاسباب المنطقية لعدم قبولي بالمسيحية ومنها الايمان بالاقانيم الثلاثة، وان المسيح ابن الله، ونظرية الذنب الاصيل وما إلى ذلك من المآخذ على المسيحية. ولكن ولكي لااستفز المستمعين وكلهم من القساوسة المسيحيين حاولت ان اتجنب الزاوية الحادة بأضافة شيء من الحقيقة والفكاهة في آن على الموضوع فقلت:

أنا لست مسيحياً لأني ولدت في بيت مسلم، وأنتم لستم مسلمين لأنكم ولدتم في بيت مسيحي، وهكذا هو شان كثير من الناس فالمسلم منهم مسلم لا لأنه سائل نفسه عن صحة عقيدته، بل لأنه ولد في بيت مسلم، وكذا المسيحيون، وهذا ينطبق على البوذيين والهندوس ايضاً، واتباع كل الديانات!

ثمّ اضفت ممازحاً:

أنا لست مسيحياً، لاني لو اعتنقت المسيحية، لتبرأ مني والدي، وطلقتني زوجتي وخسرت عملي كإمام لأحد المراكز الاسلامية!

وهنا ضج الجمهور ضاحكاً، وقام احد القساوسة ليقول: لو اعتنقت المسيحية لاحتضناك بدل ابويك، ولزوجناك بواحدة مسيحية، ولعوضناك عن عملك بأن نجد لك عملاً آخر!

تنوّع الاسلوب

ان ممّا لاشك فيه ان اساليب الدعوة الاسلامية في الغرب تتنوع بتنوع الاشخاص، والثقافات واللغات. وقد جاء في الحديث: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم[1]. وهذا يدل على ان اساليب الدعوة ليست سواء. فهناك من يستخدم معه الاسلوب المباشر للدعوة، بأن تدعوه للاسلام من خلال محاضرة أو توجيه مباشر، وهذا انما يحسن مع الذين توجد لديهم الرغبة اساساً في التعرف على الاسلام، إذ من الواضح انك لو استوقفت شخصاً غير مسلم في الشارع، وليست لديه أية خلفية عن الاسلام، فإن ذلك سيكون مدعاة للنفور والتهرب من التعرف على الاسلام. وهناك الكثير من غير المسلمين ممن يتوجهون إلى المراكز الاسلامية بهدف التعرف على الاسلام، وسبر غوره، وهؤلاء يصلح لهم القاء محاضرة تبين واقع الاسلام.

ثمّ هناك الطبقة الرفيعة في المجتمع، ممن لايحسن توجيه الدعوة اليهم بشكل مباشر للتعرف على الاسلام، لما ينطوي عليه هذا الاسلوب بالاتهام المبطن بالجهل، وهو الأمر الذي قد يرتد عكسياً ولايسمح للطرف المقابل ان يتخلى عن مسلماته الفكرية، وهؤلاء، من الافضل ان يعرض عليهم الاسلام لا على شكل الدعوة المباشرة، بل الدعوة المبطنة.

كان الكاردينال آدم مايدا قد تعيّن حديثاً اسقفاً أكبر في ولاية ميشغن من

---

(١) الكافي للكليني ج١ ص٢٣ كتاب العقل والجهل ح١٥.

قبل البابا يوحنا بولص الثاني، وكنت قد التقيته في احدى المناسبات الخاصة، حيث كان يشرح كيف انه قام ببناء متحف الفاتيكان في واشنطن، من خلال جمعه لتبرعات فاقت الـ ٦٥ مليون دولار كانت كلفة بناء المركز المذكور. وذكر أنه ألزم البابا يوحنا بولص الثاني بتوقيع وثيقة ينفرد فيها الكاردينال آدم مايدا بالاشراف وحده دون غيره على المتحف المذكور، في مقابل جمعه لتكاليف المتحف.

وقد طلبت منه في ذلك اللقاء موعداً للزيارة، وقمت في اليوم التالي ـ يرافقني صديق ـ بزيارة الكاردينال المذكور. وكنت وأنا بصدد زيارة الكاردينال فكرت أن آخذ معي هدية رمزية اقدمها له. وفكرت انه قد يكون قد قرأ القرآن الكريم، فرأيت ان اقدم له نسخة من الصحيفة السجادية لسيّدنا الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين عليه السلام، وهي المعروفة ايضاً بـ «زبور آل محمّد صلى الله عليه وآله». وفي الواقع فان الصحيفة السجادية هي كنز من كنوز المعرفة الاسلامية التي تركها لنا ائمة أهل البيت عليهم السلام. فبالاضافة إلى اسلوبها الشيق في الدعاء والمناجاة مع الله، فانها مدرسة ينهل قارؤها اسلوب المعرفة الاسلامية، وينطلق من خلال ادعيتها في عالم الاندماج الروحي مع كاتب الصحيفة، ليحلق في عوالم التوحيد والمعرفة، والعلاقة التي تربط المسلم مع ربه ومع الاخرين.

حين قدمت النسخة إلى الكاردينال، اخذ ينظر فيها، ويتمعن بدقة، ويمر عبر السطور والصفحات، وكنت قد اخبرته ان كاتب الصحيفة هو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت وحفيد رسول الاسلام محمّد صلى الله عليه وآله.

ابدئ الكاردينال اعجابه الشديد بالصحيفة، وتوقف طويلاً عند بعض فقرات ادعيتها، ثمّ التفت الي وقال:

لاخفي عليك القول ان بامكاني ان اقتطفت من هذه الادعية فقرات كاملة

والقيها في عظة القداس التي القيها كل احد، فهي تصلح لذلك دون ان يشعر احد ان هذا ليس تراثاً مسيحياً!

وتوطدت فيما بعد العلاقة فيما بيننا، وزارني في المركز الاسلامي عدة مرات، كما زرته في مقر البطريركية الكاثوليكية ايضاً.

وحين وقعت احداث الحادي عشر من سبتمبر وكان لها انعكاسات خطيرة على الجالية المسلمة في الولايات المتحدة، قام الكاردينال آدم مايدا، وفي خطوة مقصودة، بزيارة المركز الاسلامي زيارة علنية، القى خلالها كلمة قدم فيها اعتذاره للمسلمين باسم مليون واربعمائة الف كاثوليكي في ولاية ميشغن، عن ماحصل من اساءات للمسلمين بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر الدامية، واعلن انه سيؤسس لصندوق، لجمع الاعانات لايتام افغانستان.

الوسطيّة في الخطاب الديني

ان بعض الخطباء والمبلغين المسلمين في الغرب يقوم بسرد احاديث تنطوي على شيء من الغرابة وصعوبة تقبل السامعين لها، وهو يتصور انه يحسن إلى الاسلام والرسول ﷺ وآل بيته الاطهار عليهم السلام من خلال هذا الاسلوب.

وحين تناقشه يبدأ بالسفسطة ليبرر احاديثه التي يعافها الكثير من المثقفين وجيل الشباب، وسيستشهد بحديث «حديثنا صعب مستصعب لايؤمن به إلّا نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»[1] ويرى لذلك، ان اكثر الناس لايتقبلون هذه الاحاديث لأنها فوق مستواهم الفكري، والنفسي. وتناقشه فتقول: إذا كنت تعتقد ان هذه الاحاديث فوق مستوى عقول الناس، اذاً فما الفائدة من ذكرها سوى احداث بلبلة بين الناس، واعطاءهم المبرر للتهكم على رجال الدين والخطباء والمبلغين ؟!

ثمّ.. الم يبلغك الحديث الشريف الذي يقول: كلّموا الناس على قدر عقولهم ؟![2]

ولا اعرف لماذا يخوض هؤلاء في حديث المعاجز والكرامات ـ والتي لا اريد دون شك ان انفيها – ولكن هناك الكثير من المواضيع التربوية والاجتماعية والاسرية والتي يمكن الاسهاب فيها والمجتمع اليوم بأمس الحاجة اليها ؟؟؟

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٤٠١ كتاب الحجة باب فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب ح ١.
(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٣ كتاب العقل والجهل ح ١٥.

كان لي صديق شاب مسلم من اصل باكستاني ـ كنت التقيه دوماً حين اقمت لفترة في ولاية كاليفورنيا. وكنت سألته ذات مرة عن اسباب عدم ذهابه لمسجد الجالية الباكستانية وانقطاعه بالمرة، فقال ان الخطيب الذي استأجرته ادارة المركز لالقاء المحاضرات مولع بذكر المعاجز والكرامات ليس للأئمة الطاهرين عليهم السلام وإنّما لفرس الإمام الحسين عليه السلام وفي كلّ ليلة من الليالي العشرين التي دعي فيها للحديث في المركز، يتحدث وبشكل مسهب عن وجوه الاعجاز والكرامات لدى هذا الفرس.

ثمّ يضيف هذا الشاب: لقد سئمت أحاديث هذا الخطيب وقررت – بعد ان لم اجد المتحدث يقدم شيئاً جديداً في مباحث العقيدة الاسلامية ـ قررت ان انقطع واترك الحضور لغيري من عشاق حديثه!

وانا حين اذكر هذا الأمر ـ لا اقصد من وراء ذلك نفي هذه الاحاديث، وإنّما للتدليل على عدم جدوائيتها، وتسببها في ان تخسر المراكز الاسلامية في الغرب الكثير ممن هم على شاكلة هذا الشاب الذي لمست فيه الالتزام والرغبة الصادقة في المعرفة، هذه الرغبة التي تم صدها بهذه الاحاديث التي لا طائل من وراءها وان ثبت صحتها سنداً ورواية.

تأهيل المراكز الإسلاميّة

ان المراكز الاسلامية والمساجد في الغرب عموماً تلعب دوراً مهماً جداً في حياة المسلمين، وفي نشر الدعوة الاسلامية. اذ تقوم هذه المراكز الاسلاميّة والمساجد بدور السفير ومركز لاستقبال الآلاف من غير المسلمين.

إذ يلاحظ ان اكثر هذه المراكز الاسلامية والمساجد ـ بحكم وجودها في الغرب والحاجة الملحة والفضول الكبير للتعرف على الاسلام في وسط غير المسلمين ـ تستقبل الالاف من غير المسلمين سنوياً، والذين يؤمونها لاغراض متعددة تتراوح بين التعرف على الاسلام بهدف اعتناقه وبين التجسس على المسلمين والبحث عن ثغراتهم لتضخيمها في الاعلام، ومن ثمّ التشنيع على الاسلام بسبب هذه الثغرات.

وللاسف اقول فان بعض هذه المراكز غير مؤهلة لمثل هذه المهمة على الاطلاق.

ان هناك من المراكز مايعطي صورة سلبية عن الاسلام ليس لغير المسلمين فحسب بل حتى لبعض المسلمين، وخصوصاً حديثي العهد بالاسلام، وكذلك الناشئة المسلمة التي نشات في تلك البلاد متأثرة بحضارتها وثقافتها.

وقد سبق وأن تحدثت في فصل اهداف الدعوة في الغرب، ان من اهم التحديات التي تواجه العلماء والدعاة والمراكز الاسلامية في الساحة الغربية هو وظيفة احتضان جيل الشباب وعدم التفريط بهم.

ان هناك من المراكز الاسلامية مايعجز عن اعطاء صورة بسيطة جذابة عن

الاسلام من خلال انتشار الروائح النتنة فيها، واتساخ سجادها، وتبعثر اثاثها بصورة تسبب صدمة للزائرين واشمئزازهم.

اضف إلى ذلك فان هناك من يشتري أو يستأجر محلاً صغيراً هو بالاصل محل لغسيل السيارات ويقع هذا المكان في العادة في منطقة ينعدم فيها الامن، ليحوله إلى مركز اسلامي يحمل اسماء عريضة ولرموز اسلامية عظيمة، رغم اني لا اعترض على نوايا هؤلاء الطيبة إلّا اني أجد في ذلك مدخلاً للبعض للانتقاص من الاسلام!

ثم هناك من المسلمين وبسبب عادة الاطعام التي تعودوا عليها وهم في وطنهم الام، من يحول المركز الاسلامي إلى مطعم، يوزع فيه الطعام وتتحول فقرة الاطعام إلىٰ اهم فقرة من فقرات نشاطه، وترى بعض اثار الطعام متناثرة على اثاث المحل متناغمة مع روائح التوابل والبهارات التي يتميز بها الطعام. مع العلم ان الكنائس في الغرب ليست مطاعم، ولايوزع فيها الطعام، وإنّما هي دور مخصصة للعبادة، ولأستماع العظات!

ان المظهر الذي تظهر فيه المراكز الاسلامية من حيث النظافة والنظام، والجمال، يلعب دوراً مباشراً في خلق الانطباع لدى زوار هذه المراكز من غير المسلمين ليس عن القائمين عليها ونمط سلوكهم وخلفياتهم الثقافية فحسب بل وبدرجة كبيرة عن الدين الذي يمارسه رواد هذه المراكز وهو الاسلام.

وقد قرأت لبعض الصحفيين الغربيين الذين كتبوا عن الاسلام في الولايات المتحدة ينتقدون صراحة المظهر المترهل الذي تظهر فيه بعض المراكز الاسلامية هنا، وهو الأمر الذي لاشك يشكل مصدراً للاحراج لنا نحن العاملين على هذه الساحة.

وبالاضافة إلى المظهر الخارجي فان بعض المراكز يعادي بتصرفه وسلوكيات القائمين عليه جيل الشباب، ويأخذ عليهم عفويتهم ولبسهم ـ مثلاً ـ للشورت في فصل الصيف وهو امر يمارسه اكثر المواطنين في هذه البلاد، ولا يضر بعقيدة الشباب ولابالتزامهم بالدين.

ومن المراكز الاسلامية ما لا يبدي مرونة في توفير المناخ الملائم الذي يتعرف فيه الشباب المسلم على الشابات المسلمات بهدف الالتقاء في اجواء محتشمة، وهم لايجدون فرصة اخرى للتعرف باعتبار انهم لايعيشون في مدن اسلامية تكثر فيها الخيارات ويعرف اهل المدينة بعضهم بعضاً، وإنّما يعيشون حالة الجالية الصغيرة التي يتعرف افرادها بعضهم بالبعض الآخر من خلال المناسبات التي توفرها المراكز الاسلامية فحسب، فهنا لاتوجد مناسبات احتكاك للجالية، وراء المناسبات التي تقيمها هذه المراكز، وتنحصر بالتالي فرصة الشباب المسلم للتعرف على الشابات المسلمات في اجواء محتشمة بهدف الزواج، في هذه المناسبات فقط.

ومن هنا يجب ان يلتفت القائمون على المراكز الاسلامية إلى هذه الحقيقة المهمة التي يجب ان لاتغيب عن بالهم، لكي لايلجئوا الشباب إلى الزواج من خارج الجالية بسبب ظروف الفصل الصارمة التي لاتسمح احياناً بأي هامش لتعرف الشباب المسلم بالشابات المسلمات بهدف الزواج.

أتذكر ذات مرة انني كنت مدعواً للحديث في أحد المراكز الاسلامية في احدى الولايات الامريكية. وقد لاحظت فيه تطبيقه لقانون الفصل الصارم بين الجنسين، إلى حد انه لاتوجد فيه أدنى فرصة لتعرف الشباب من الجنسين على بعضهما في اجواء محتشمة بهدف الزواج.

وبعد الانتهاء من المحاضرة اخذني صديق - وهو في ذات الوقت يعمل رئيساً لهيئة ادارة هذا المركز - إلى بيته للمبيت ليلاً ثمّ الرحيل في الصباح.

وفي الطريق فتح هذا الصديق لي قلبه وافضى اليّ بما يعانيه من كابوس. أخبرني ان ابنته وهي طالبة في السنة الأولىٰ من الجامعة قد تعرفت على شاب مسيحي زميل لها في الجامعة، وهي اليوم بصدد الزواج منه!

ورغم اعتراضاته وزوجته على قرار ابنته إلّا ان كل تلك الاعتراضات لم تلق بالاً من قبلاً الفتاة التي تصر على رغبتها في الزواج من هذا الشاب المسيحي!.

ثمّ طلب منّي أن اتكلم مع ابنته عسى ان اقنعها بأن تغير رأيها وتعدل عن الزواج من هذا الشاب.

سألت الصديق: ترى لو اني أقنعت ابنتك بالعدول عن الزواج بهذا المسيحي فهل ستجد ابنتك الفرصة للتعرف على شاب مسلم ترغب أنت فيه وتحبذه لها؟ التفت اليّ الصديق ليستفسر عما اريده بالضبط.

قلت له: ان السبب في وقوع ابنتك في غرام هذا الشاب المسيحي هو انكم لاتوفرون الفرصة لابنتك وامثالها في مركزكم الاسلامي للتعرف على شباب مسلمين حسني السيرة في اجواء تسودها الحشمة والعفة.

ثمّ اضفت: انظر إلى المفارقة العجيبة: أنتم ترفضون ان تجلس بناتكم وهن محجبات في نفس القاعة التي يجلس فيها الشباب في المركز الاسلامي في اجواء يسودها الحشمة وامام اعين الاباء والامهات؛ في وقت لا تجدون فيه غضاضة ان تجالس بناتكم على مقاعد الدراسة الجامعية ابناء المسيحيين، وهن غير محجبات في اجواء لاتسودها الحشمة وفي غياب عن اعين الامهات والاباء!!

ان على المراكز الاسلامية في الغرب ان تتحمل المسؤولية التي تقع على

عاتقها في حفظ نواة الاسرة المسلمة من خلال توفير المناخ الملائم النـظيف الذي يتعرف فيه ابناء الجالية المسلمة على بعضهم البعض بهدف الزواج وانجاب الابناء المسلمين.

وان عدم توفير مثل هذه الاجواء سيؤدي بالتأكيد، كما حدث ذلك بالفعل، إلى دفع الكثيرين من ابناء الجالية المسلمة إلى الزواج من خارج الاسر الاسلامية، الأمر الذي سيكون له اثره المدمر في التأثير على عقيدة الجيل الناشئ الذي يجب ان نحرص اشد الحرص على توفير المناخات الملائمة لنشأته نشأة اسلامية، نحن مسائلون عنها امام الله عَزّ وجَلّ يوم القيامة!

ترتيب الأولويّات

إنّ بعض المسلمين في الولايات المتحدة ـ بمن فيهم عاملون على الساحة ـ ينخرطون احياناً ـ وللأسف ـ في نشاط وحمى غير ضرورية او مجدية لا للاسلام ولا للمسلمين، وهم بذلك يبعثرون جهود الجالية ويخالفون سلّم الاولويات في العمل الاسلامي من خلال اصرارهم على أمور لا طائل من وراءها.

فعلى سبيل المثال، يصر بعض المسلمين في الغرب على اعلان الاذان من مساجدهم من خلال مكبرات الصوت، كما نفعل في مدننا الاسلامية، وهذا الأمر يتسبب في ازعاج جيران المراكز الاسلامية من غير المسلمين، فيندفع بعضهم ـ اما بدافع الحقد على الاسلام أو بدافع الانزعاج من نداء لايعني له شيئاً ـ بالمجاهرة في معارضة الاذان خارج المراكز الاسلامية ومن خلال مكبرات الصوت. فيتصدى لهذا البعض، بعض المسلمين الذين تستيقظ حميتهم على اصوات تنكر عليهم نداء اذانهم! فتحتدم المعركة ويشتد الوطيس!

اتذكر ان مسجداً في ولاية ميشغن في منطقة اسمها هامترامك يرتادها المسلمون البنغاليون حاول اعلان الاذان من خلال مكبرات الصوت، فاحتج جيران المسجد من غير المسلمين، وثارت ثائرة المسلمين الذين اعترضوا على احتجاج جيرانهم من غير المسلمين ورأوا في ذلك اهانة او استهانة بدينهم والحد من حريتهم الدينية، وتدخل الاعلام وانقسم الناس إلى مؤيد لحق المسلمين في اعلان الاذان خارج مساجدهم ـ وهم قلة ـ وإلى معارض لهذا الحق وهم كثرة، وحجتهم أن لينحصر أذانكم في مساجدكم، ولا تزعجوا جيرانكم بندائكم!

والحق، كنت أرى في هذا النزاع، تبديداً للوقت والجهود، وتضييعاً للاولويات الاسلامية في هذه البلاد. فما دام اكثر جيران المسجد من غير المسلمين، وينزعجون بنداء الاذان فلماذا اذن الاصرار على الاذان عبر مكبرات الصوت التي تخترق غرف نومهم وهم لايريدون ذلك!

وما الفائدة من اعلان الاذان في وسط غير اسلامي إذاكان ذلك يسبب ردة فعل سلبية فيما بينهم تؤثر على موقفهم من الاسلام، وتحولهم إلى اعداء ونحن في غنى عن ذلك؟ ورأيت ان في الاصرار على هذا الأمر نوعاً من الانشداد عن الاولويات الرئيسية التي تنتظرنا في هذه البلاد وهي التعريف الطيب عن الاسلام، والدعوة إليه بالحسنى، وعدم استثارة احاسيس ومشاعر من حولنا بطريقة تدفعهم ربما لمعاداة الاسلام.

عندها تذكرت حديثاً للرسول ﷺ يقول فيه للإمام عليّ عليه السلام: « **ياعليّ إذا اشتغل الناس بالنوافل فاشتغل أنت بالفرائض!** » وقلت لنفسي لو أن المسلمين هنا في هذه البلاد يشتغلون بالفرائض والاولويات، ولايصرون كثيراً على النوافل والأمور الثانوية، لتمكنا ربما من كسب الكثير من الغربيين إلى صفنا، ولسارت عجلة الاسلام بوتيرة اسرع!

وهناك من المسلمين من يصر على انه لايجوز للمسلم في الغرب ان يلقي السلام على غير المسلمين وبدلاً من ان يقول السلام عليكم لابد له ان يقول السلام على من اتبع الهدى بحجة اتباع السنّة والاستحباب الشرعي الذي يرى ان السنة في القاء السلام على أهل الكتاب هي تلك! ناسياً أو متناسياً ان اتباع السنة بذلك النحو إنّما كان يوم كان الاسلام هو الحضارة القاهرة في العالم، وكان الاخرون هم بحاجة إلى الاسلام، اما اليوم حيث يعيش مايقرب من عشرين مليون مسلم في

الغرب وسط مايزيد على ستمائة مليون غربي (الولايات المتحدة واوربا) فان اعتماد تلك السياسة قد يكون له اثر استفزازيٌ ضد المسلمين، يسيء إلى وضعهم بشكل عام. اضف إلى ان الاسلام هو دين السلام، ومن صفات المؤمن إنشاء السلام، وهو امر يكرس ثقافة اللاعنف لدى المسلم، ويعطي بالتالي انطباعاً طيباً عن الاسلام..



الفصل الرابع

شروط الداعية

* التسلح بالعلم والثقافة العصرية
* إتقان الخطابة واللغة الانكليزية
* التخلق بالتقوى وخوف الله والخلق الفاضل
* احتمال حاجات الناس، والتكيّف بحسب المتطلبات

التسلّح بالعلم والثقافة العصريّة

ان على الدعاة والعاملين في حقل العمل الاسلامي في الغرب ان يتسلحوا بسلاح العلم والثقافة العصرية، ليصبحوا سفراء للاسلام في بلاد هي في الاصل متعطشة للمعرفة، ولكي يتمكنوا من مواجهة الشبهات التي يطرحها اعداء الاسلام وخصومه عن الاسلام، وايضاً ليتمكنوا من تقديم واجب الوعظ والارشاد والرعاية الدينية للجاليات الاسلامية المنتشرة في الغرب على اكمل وجه.

لقد ذكرت سابقاً ان بعض المراكز الاسلامية وبسبب النقص في عدد الأئمة والوعاظ المتخرجين من معاهد وحوزات معترف بها، تضطر إلى استخدام اشخاص غير مؤهلين علمياً لإمامة المساجد والمراكز، وبعضهم يمارس مهناً قد لاتتناسب ودور العالم الديني كسائق التاكسي أو عامل بناء. ورغم ان هذه مهن شريفة بحد ذاتها ولامشاحة في ان يكون اصحابها من أهل التقى والإيمان، لكن التقوى والإيمان وحدهما لايكفيان لادارة المراكز الاسلامية وإمامة مساجد المسلمين.

واتذكر ان احدى القنوات التلفزيونية الشهيرة **CNBC** أجرت قبل فترة مقابلة تلفزيونية مع احد ائمة المساجد في نيويورك ـ وكنت اشاهدها تبث حية على التلفزيون ـ واكتشفت ان هذا الإمام هو في الاصل كان يعمل مترجماً في احدى الممثليات العربية لدى الأمم المتحدة وبقدرة قادر ولأن «الحاجة أُم الاختراع» كما يقولون (!!!) تحول المترجم هذا إلى إمام احد اهم المراكز الاسلامية في نيويورك، وكان المذيع في محطة **CNBC** يوجه له اسئلة محرجة، وكان يعجز عن الاجابة

عليها، ممّا اوجد نوعاً من الحرج، وكنت وأنا اتفرج على المقابلة اشفق عليه خشية ان يسيء تلكؤه وعدم احاطته الكافية وضآلة معلوماته إلى الاسلام، خاصّة وان هذا البرنامج يشاهده الملايين من الاميركيين.

وبسبب غياب نظام مركزي ينظم عمل المبلغين في الغرب، ويشرف على شئونهم اصبح اليوم كل من هب ودب داعية اسلامياً، ومتحدثاً باسم الاسلام، يوزع الفتاوى يميناً وشمالاً ويفتي بغير ماانزل الله، ويعبّر عن اراء شخصية شاذة باعتبارها رأياً اسلامياً يعبر عن فكر الاسلام!

اتقان الخطابة واللغة الانكليزية

يتحدث الانكليزية اليوم ما يقرب من المليار انسان متوزعين في مختلف القارات، واصبحت اللغة الانكليزية لغة البحوث الاكاديمية والمعاهد العلمية ولغة الانترنت وبالتالي اصبحت لغة العالم.

ومن هنا فان على العلماء العاملين في الغرب ان يتقنوا الانكليزية، لأن اتقانها بدون شك مفتاح للولوج للمجتمع الغربي ومخاطبته. ولاشك ايضاً ان الدعاة المسلمين في العالم الغربي لن يتمكنوا من ايصال رسالة الاسلام إلى أهل الغرب حتى يتقنوا لغتهم، ولقد اكد القرآن الكريم هذا المعنىٰ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[1].

ومن المؤسف ان نجد ان كثيراً من العلماء والدعاة في الغرب لايتقنون اللغة الانكليزية وهو امر يحد من نشاطهم ويجعله محصوراً في الجاليات العربية أو الاسلامية المهاجرة إلى الغرب، وهم بسبب الاعاقة اللغوية لا يتمكنون من الانطلاق في مشاريع الدعوة الاسلامية في الغرب كبناء جسور الثقة، والحوار بين الاديان والدعوة عموماً لاهل البلاد ممن يتحدثون اللغة الانكليزية.

واني استغرب ان بعض هؤلاء العلماء يمضي على وجوده عشرون أو ثلاثون سنة وهو لايتمكن من تركيب جملة صحيحة واحدة في اللغة الانكليزية، رغم ان بعضهم يشهد له بالذكاء والفطنة.

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

والحقيقة فان تعلم اللغة الانكليزية هو صعب وسهل في آن. هو صعب لأنه يتطلب اوقاتاً في القراءة الطويلة والمستديمة وحفظ الكلمات ثمّ الممارسة المستمرة وهذا بحق يتطلب جهداً جباراً ومثابرة مستمرة.

وهو سهل ايضاً إذا ما كان للانسان ارادة جبارة تذلل الصعاب وتستسهل العسير من العقبات، ولا يوجد هناك شيء اسمه صعب أو غير ممكن امام ارادة الانسان. وقد رأيت بنفسي والتقيت عدداً من الدبلوماسيين الاميركيين المبتعثين للعمل في السفارات الاميركية العاملة في الدول العربية وقد تعلم اللغة العربية بطلاقة خلال فترة عشرة اشهر فقط. مع العلم ان تعلم اللغة العربية اصعب بكثير من تعلم اللغة الانكليزية، وذلك لأن العربية تحتوي الكثير من قواعد الصرف والنحو التي تبدو معقدة للمبتدئ، بينما تخلو اللغة الانجليزية من كثير من تلك القواعد. كما ان على متعلم اللغة العربية ان يتعلم اللهجات المحلية المتعددة والكثيرة والتي تتباين تبايناً كلياً فيما بينها احياناً بالاضافة إلى العربية الفصحىٰ، وليس الأمر كذلك مع اللغة الانكليزية.

واني اتوجه بالنداء إلى الحوزات العلمية في النجف الاشرف وقم وكذا إلى المعاهد الدينية في الازهر وجامع الزيتونة ان يدخلوا الانجليزية ضمن المنهج الالزامي، ويصبح تدريس الانجليزية الزامياً كما هو تدريس الفقه، واصول الفقه وتفسير القرآن، واللغة العربية بنحوها وصرفها وبلاغتها.

فنحن اليوم نعيش في القرن الواحد والعشرين، وعالم اليوم هو غير عالم الامس، إذ اصبحنا نعيش فيما يعرف بـ«القرية الكونية» وإذ تحول العالم بفضل تكنولوجيا الطيران النفاث، والفضائيات وقنوات الاتصال الهاتفية السريعة والشبكة العالمية في الانترنت، تحول إلى عالم صغير تتواصل فيه الحضارات

وتتلاقح فيه الرؤى والافكار ومن ثم وجب على الموجهين والعلماء ادراك اهمية ضم اللغة الانكليزية إلى المنهج الدراسي الام ليتمكن العلماء والدعاة من نشر رسالة الاسلام العالمية، وتمكين سكان البشرية جميعاً من التعرف على هذا الدين العظيم الذي وعد سبحانه بأن يظهره على الدين كله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

وهنا لابد من الاشارة إلى امر في غاية الاهمية، وهو ان تعلم اللغة لايعني تعلم المفردات والتمكن من التحدث لفظياً بتلك اللغة فحسب. إنّما هو بالاضافة إلى ذلك، تعلم الخلفية الثقافية الذهنية لابناء تلك اللغة. وبعبارة اخرى، فان اتقان لغة مالايقتصر على الحديث بتلك اللغة وإنّما يتسع ليشمل اتقان مخاطبة عقلية المتحدثين بها ايضاً، وهو امر ضروري جداً عند التعرف على اللغات والشعوب المختلفة.

فاللغة الانكليزية ـ شأنها شأن سائر اللغات ـ ليست مجردة لغة ملفوظة، وإنّما هي عبارة عن مخزون ثقافي ومجموعة من الاعراف والعادات والتقاليد والخلفية الذهنية التي تعبّر عن نفسها بهذه اللغة المعروفة بالانكليزية. فعلىٰ متقن اللغة ان يتعرف ايضاً إلى حضارة تلك اللغة وخلفيتها التاريخية لكي يكون ملماً بالمخزون الثقافي وراء كل مفردة من مفرداتها.

وبالاضافة إلى اللغة فان على العاملين في الساحة ان يتمكنوا من الخطابة، وان يكونوا خطباء مفوّهين قادرين على ايصال افكارهم بعبارات بليغة مؤثرة. فالولايات المتحدة فيها عدد لابأس فيه من الخطباء الكبار المفوّهين، وقد

(١) سورة التوبة: الآية ٣٣.

شـــاهدت وادركت بـعضهم ورأيت قـدرتهم الخـارقة عـلى التأثـير في نـفوس مستمعيهم. ومن اولئك، القس المسيحي الشهير بيلي غرام. وهو لربما اشهر قس وواعظ مسيحي اميركي على الاطلاق، وهو يربو اليوم على التسعين مـن عـمره وقد سطح نجمه في الستينات والسبعينات من القرن المـاضي، وكان كل الرؤسـاء الاميركيين من زمن ايزينهاور مرورا بـليندون جـونسون، ونـيكسون وكـارتر وريغان وحتى اليوم، يستقبلونه في البيت الابـيض اسـتقبال الرؤسـاء والزعـماء الكبار ويبدون له الاحترام الكبير، وقد مارس هذا القس الشهير مهنة الوعظ منذ الخمسينات من القرن الماضي، واصبح اقـوى واعـظ في الولايـات المـتحدة بـلا منازع.

كما التقيت بخطباء مؤثرين اخرين منهم على سبيل المـثال، لويس فـرقان رئيس منظمة «امة الاسلام» السوداء، وسيأتي الحديث عنها عند الحديث عـن فرق المسلمين في الولايات المتحدة، وهو خطيب بليغ يسحر بكلامه سامعيه. وقد سمعته مرة وهو يخطب عندنا في المركز الاسلامي بناء على دعوة وجهناها اليـه في العام ١٩٩٨ وقد القى خطبة مؤثرة بليغة، تحمس لهـا الجـمهور حمـاساً بـالغاً إلى درجة الهستيريا، وتمنيت يومها ان يهدي الله سبحانه قلب هذا الرجل، ليتحول إلى قوة هائلة وبركان متفجر ينقل ينبوع الاسلام الصافي إلى الاميركيين، وان يسخر طاقته الخطابية البالغة لنشر الاسلام الحنيف في هذه البلاد!

ولقد صدق الرسول ﷺ حينما قال: «**ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحراً**»[1]. وهنا اوجه خطابي إلى الحـوزات العلمية والمـعاهد الديـنية في العـالم

---

(١) الامالي للصدوق ص٧١٨ ح٩٨٨.

الاسلامي بأن لاتكتفي تدريس طلابها مناهج العلوم والفلسفة والفقه والاصول بل ان تضم إلى ذلك درس الخطابة علماً واتقاناً وممارسة، ليتحول خريج هذه المعاهد ليس إلى عالم فحسب وإنّما إلى عالم يحمل علمه إلى الناس من خلال ملكة الخطابة والبيان!

واعود لاقول ان الغرب اليوم بحاجة إلى خطباء مسلمين قادرين على منافسة الخطباء المسيحيين، ومتمرسين في الأخذ بناصية الكلام، يملأون عطش الغرب وخواءه الروحي من خلال احاديثهم الجذابة الشيقة.

واختم هذه الفقرة بالقول، ان تمكنّي من الحديث بطلاقة باللغتين الانكليزية والعربية والقائي المحاضرات بكلا اللغتين فتح امامي افاقاً واسعة من العمل والنشاط الاسلامي في المحيطين الاسلامي والمسيحي، وأخذني لأزور اكثر من اربعين دولة حتى الآن متحدثاً في المؤتمرات، والندوات والمناظرات. كما جعلني اتحدث حتى الآن فيما يزيد على ٢٧٠ كنيسة وجامعة في الولايات المتحدة وغيرها من البلدان، ولا ازال تنهال علي الطلبات لالقاء المحاضرات واجراء الحوارات الصحفية بشكل لا أتمكن معه احياناً من تلبية كل هذا العدد الهائل من الطلبات.

واني لا أذكر هذا الأمر على سبيل التفاخر أو التبجح، وإنّما أذكر ذلك للتدليل على ان العلماء والدعاة الذين يتقنون الخطابة والحديث بطلاقة باللغة الانكليزية تنتظرهم آفاق واسعة من العمل الدعوي في الغرب، وتتوافر امامهم فرصٌ ذهبية لنشر رسالة الاسلام في اوساط غير المسلمين لابد ان يسخروها لهذا الهدف السامي.

واذكر هنا كلمة للعالم المجاهد الكبير العلّامة السيّد عبد الحسين شرف الدين ﷺ والذي قال ذات مرة: لاينتشر الهدى إلّا من حيث انتشر الضلال!

التخلّق بالتقوىٰ، وخوف الله، والخلق الفاضل

لقد ورد في الحديث الشريف: «انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»[1] وقد جاء ايضاً: «جالسوا من العلماء من تذكركم بالله رؤيته ويزيدكم في علمكم منطقه»[2].

ان على العلماء في الغرب ان يتحلوا بالتقوى وخوف الله وان تكون سيرتهم العامل المشجع الاكبر لدى الناس للاحتذاء بحذوهم، وقد جاء في حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها احق بالاجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم»[3].

وهذا دليل صارخ على ان الناس ينظرون إلى سيرة العالم قبل ان ينظروا إلى كلماته، فهم يتأثرون بسلوكه أكثر ممّا يتأثرون بخطبه ومواعظه وقد جاء في احد الاحاديث: «كونوا دعاة الىٰ انفسكم بغير السنتكم»[4].

ثمّ ان التحلي بالأخلاق الفاضلة والتواضع واحتمال حاجات الناس امر ضروري في نجاح رسالة المبلغ والداعية في الغرب.

ولقد شهدت بنفسي مبلغين لم يصلوا إلى رتبة رفيعة في العلم ولم ينالوا حظاً

---

(١) الامالي للصدوق ص٦٣ ح٢٤.

(٢) الامالي للطوسي ص١٥٧ ح٢٦٢.

(٣) نهج البلاغة ج٤ ص١٦ ـ الكلمات القصار ـ رقم ٧٣.

(٤) الكافي للكليني ج٢ ص٧٧ كتاب الايمان والكفر باب الورع ح٩.

كبيراً من الفقه وإنّما اقتصروا على رتبة متواضعة في العلم، ولكن حباهم الله بأخلاق طيبة ونفس واسعة وهمة عالية، فتمكنوا من جمع الناس من حولهم، ونجحوا نجاحاً باهراً في القيام بمشاريع تخدم الجاليات المسلمة في الغرب وتمتعوا بشعبية بين الناس حققت لهم مكانة يشار لها بالبنان.

وعلى العكس من ذلك تماماً، شهدت بنفسي علماء ومبلغين بلغوا مراتب عالية في العلم والفقه والمعرفة، ولهم مؤلفات قيمة، كما يحملون شهادات واجازات من علماء كبار تشهد بفضلهم وسعة علمهم، ولكنهم ابتلوا بسوء الخلق وضيق الصدر وعدم القدرة على احتمال مشاكل الناس ومتطلباتهم، وانطوى بعضهم وللاسف على شيء من الغلظة والجفاء، فانفض الناس من حولهم، واصبحت المراكز الاسلامية التي يديرونها خاوية، وخالية من الزوار، وقلما يتصل بهم احد للاستفسار منهم عن الاحكام الشرعية وغيرها.

ولقد اشار القرآن الكريم إلى اهمية الاخلاق، وعظمة اخلاق الرسول ﷺ فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

واتساءل احياناً عن سبب بقاء هؤلاء في الغرب واختيارهم له محلا لسكنهم وهم لايقدمون شيئاً على مستوى الدعوة والتبليغ؟ خصوصاً وانهم يتحملون مشاق الغربة والبعد عن الوطن والعيش في بيئة غير اسلامية، ناهيك عن المسؤولية الشرعية امام الله سبحانه. فماذا سيكون جوابهم إلى الله تعالى إذا سألهم ماذا فعلتم في بلاد الغرب؟ أوكم غير مسلم اعتنق الاسلام على ايديكم؟ وكم ضال هديتم؟ وكم تارك للصلاة حملتموه على اقامة الصلاة؟ وكم سافرة حجبتم؟ وكم مدمن

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

على الخمر والمخدرات عالجتم ؟!

ثمّ ان على المبلغ الاسلامي والداعية في الغرب ان يجمل في الطلب، وان يعلم تمام العلم ان الله سبحانه قد كفل رزقه، فلايبدي جشعاً ولهثاً وراء المال ولا يسأل الناس حاجة فيسقط بذلك قدره بينهم، ويسقط من اعينهم، ولا يشترط على احد منهم مالاً يدفعون له لقاء عقد نكاح يجريه او طلاق يوقعه او خطبة يلقيها. ولقد شاهدت بنفسي خلافات عنيفة جرت في الغرب بين بعض العلماء والمبلغين من جهة وبعض المؤسسات والمراكز التي كانت تحتضنهم، ولم تكن هذه الخلافات إلّا بسبب المال، واشتراط هذا العالم مبالغ اضافية انتهت بخلافات عاصفة اصبحت حديث المجالس!

ولقد ساد لدى بعض ابناء الجاليات الاسلامية في المغترب انطباع مفاده ان بعض العلماء والمشايخ لايهمهم سوى جمع المال، وهو انطباع خاطيء بالتأكيد، وذلك لوجود الكثير من العلماء والمبلغين ممن نذر نفسه في سبيل خدمة الدين واعلاء كلمة الله في الارض، ويتحمل من اجل ذلك التهم والمشاق لايثبطه شيء لأنه لايبغي سوى وجه الله سبحانه، ولكن هذا الانطباع الخاطئ إنّما عززه سلوكيات بعض هؤلاء المحسوبين على العلم والعلماء!

احتمال حاجات الناس، والتكيّف بحسب المتطلبات

ان على الداعية الاسلامي في الغرب ان يتواضع فيتحمل حاجات الناس، ويتكيف حسبما يطلب منه لتأدية الحاجات المشروعة للمسلمين. فمثلاً، على الداعية ان يخصص وقتاً لزيارة مرضى المسلمين في المستشفيات. واعرف من العلماء من خصص وقتاً معيناً في جدوله الاسبوعي لزيارة المرضى المسلمين. وبالمناسبة فان المستشفيات الغربية عموماً والاميركية خصوصاً تقوم باستئجار وتوظيف رجال دين يطلق عليهم عنوان [Chaplain] يقومون بتقديم الخدمات الدينية لنزلاء المستشفيات من صلاة ودعاء وتراتيل و... الخ، وتقوم المستشفى بنفسها بتغطية نفقات هؤلاء.

وكثيراً مايصادف اني حين اقوم بزيارة مريض مسلم يخبرني ان القس المكلف والمعنون بـ [Chaplain] قد زاره للتو يعرض عليه خدماته، ثمّ يحمد هذا المريض المسلم الله ان ارسلني إليه ومن ثم لم يحتج لخدمات الـ [Chaplain]!

كما ان على الداعية ان يقوم بتلقين الميت والصلاة عليه، وتشييعه إلى الجبانة، للتأكد من دفنه صحيحاً وباتجاه القبلة. لابل ان الداعية يضطر احياناً إلى تغسيل الميت وتكفينه بنفسه بسبب غياب من يتطوع بهذا العمل خصوصاً وان الفقهاء المسلمين يفتون بعدم جواز اخذ الاجرة على الواجب، وهذا الأمر يعد من الواجب الكفائي. وهو أمر قد يسبب الازعاج والضيق للداعية الذي لم يعتد على هذه الأمور، ولكن ليعلم ان في هذا رضا الله سبحانه وخدمة للمؤمنين.

وبالمناسبة، فان ٦٠٪ من الموتى في الولايات المتحدة يتم حرقهم وذر

رمادهم في البحار والانهار، وذلك لأن تكاليف الحرق ارخص بكثير من تكاليف الدفن التي تصل احياناً إلى عشرة الاف دولار.

ولكن الاسلام بالطبع يحرم حرق الميت المسلم ويأمر بغسله وتكفينه ودفنه، بدءً بالجنين الذي مضى على تكونه اربعة اشهر فما فوق، واما الصلاة على الميت فهي لاتشرع حتى يبلغ السادسة من عمره فما فوق.

وقد اتصل بي تلفونياً ذات يوم شاب مسلم من احدى الولايات المجاورة، يسئل إن كان حرق الميت جائزاً ولما اخبرته ان ذلك حرام في شريعتنا أخبرني أن أباه قد توفي وقام هو بحرق جثة ابيه، فقلت له ـ وقد تأثرت لما أخبرني به ـ كان عليك ان تسأل عن جواز هذا الفعل قبل حرق ابيك لابعد احراقه!

كما ان على الداعية ان يكون صبوراً فينفق الساعات الطويلة من وقته في اصلاح ذات البين بين الازواج المتنازعين، ورأب صدع الاسر الاسلامية، وتقديم الاستشارات العائلية والتربوية، وان يشارك في فض النزاعات بين الاخوان وحل الخلافات المالية بين الشركاء والمتكاتبين، وبعبارة موجزة: ان يكون أخاً وأباً وصديقاً وملجأً لكل افراد الجالية المسلمة ويعمل على اغاثة الملهوف، ومعونة المحتاج ومساعدة من هم بحاجة إلى مساعدته، و توفير فرص عمل للعاطلين عن العمل من ابناء الجالية من خلال الحديث مع اصحاب المتاجر وارباب المهن ومحطات البنزين وغيرها ليوظفوا هؤلاء في مصالحهم ومتاجرهم.

ولقد كان هكذا يتصرف الرسول ﷺ مع المسلمين، فكان الاب الروحي الذي يعطف عليهم ويتابع شؤونهم. ولقد مدحه القرآن الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ

رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١)

والنبيّ ﷺ لاشك انه اسوة حسنة وقدوة لجميع المسلمين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾(٢).

وإذا اقتضى الأمر ان يتكلم الداعية إلى الصحافة الغربية فليكن ذلك، ولكن عليه توخي الحذر بحيث لا يقع في فخ نصب له، فلاينفعل في تصريحاته، وينزه نفسه ولسانه عن السب والشتم وان يحافظ على رباطة جأشه حين يستفز من قبل بعض الصحفيين الذين يتعمدون استفزازه لكي يخسر السيطرة على اعصابه وهدوءه فيبدو منفعلاً، متأجج الغضب مما يؤثر بشكل كبير على سمعته ويؤدي إلى اهتزاز صورته.

ومن الصحفيين من يختار اسئلته لا بقصد طلب المعرفة ولكن بقصد الايقاع، فإذا سُأل الداعية عن الحجاب مثلاً، يجب ان لاينبري الداعية بأعطاء امثلة وتشبيهات قد تثير نقمة المجتمع عليه كأن يشبّه المرأة السافرة بسيارة التاكسي التي يركبها الكل، والمرأة المحجبة بالسيارة الخاصّة التي لايركبها إلّا صاحبها كما سمعت ذلك من احد الواعظين المسلمين!

أو أن يشبّه المرأة غير المحجبة بقطعة اللحم وعيون الرجال بالقطة التي لاتملك مقاومة اغراء قطعة اللحم المرمية امامها، فيلقي باللوم عند اغتصاب المراة على المرأة غير المحجبة نفسها وليس على من يقوم باغتصابها، كما فعل ذلك مفتي استراليا الشيخ تاج الدين الهلالي الذي اثار غضب المجتمع الاسترالي عليه بسبب

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٢١.

هذه التصريحات، وانطلقت اصوات في استراليا تطالب بإقالته من منصبه واخرى تطالب بطرده من تلك البلاد...الخ

وإذا اعتلى الداعية المنصة فعليه ان يوجه خطابه إلى «الاخوة والاخوات» على حد سواء وليس إلى «الأخوة» فحسب، فيثمن حضور الرجال ويتنكر لوجود النساء في المجلس، ممّا قد يشكل اهانة للاخوات المسلمات عن غير قصد.

وهناك موقف محرج يمرّ به كل داعية اسلامي في الغرب تقريباً، وهو أن تعترض طريقه امرأة غير مسلمة وتمد يدها اليه للمصافحة، فان مدّ الداعية يده اضطراراً وحرجاً وصافحها كفّره بعض المسلمين وأخرجوه من الدين وبقي ان يلعنوه على منابر الجمعة! وان لم يمد يده مصافحاً يكون قد وجه اهانةً للمرأة واثار غضب غير المسلمين عليه فما الحل؟

والحل برأيي هو ان يستعيض عن المصافحة بوضع يده اليمنى على صدره وهي علامة احترام يفقهها حتى غير المسلمين مع توضيح مبسط بأننا لانحيي المرأة الاجنبية بأيدينا ولكن نكنّ لها غاية التقدير والاحترام!

كما ان على الداعية الاسلامي في الغرب ان لايترفع عن قضاء حوائج المسلمين اليومية مثل الاستخارة بالقرآن وتفسير الاحلام بل وحتى كتابة الادعية والحجابات التي وردت عن النبيّ ﷺ وآله الاطهار ﷺ، ولكن شرط ان لايطلب اجرة على ذلك!

ورغم اني كنت قد اعلنت قبل سنوات ومن على المنبر أنني لا اجيد تفسير المنامات إلّا ان الناس لم يصدقوا ذلك وتصوروا ان ذلك تواضعاً مني، واستمروا في الاتصال بي يسألونني عن تفسير المنامات والاحلام مما اضطرني إلى قراءة بعض كتب تفسير الرؤيا وكذا الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت ﷺ بخصوص

هذا الأمر!

وعلى كل حال، فإن الداعية في الغرب لابد ان يمتهن ادواراً متعددة هـي في الشرق يقوم بها عدد من الاشخاص، وفي الغرب تقتصر على واحد. فـهو إمـام الجماعة وإمام و خطيب الجمعة وهو ايضاً المأذون لاجـراء عـقود النكـاح وهـو المتحدث الرسمي باسم الجالية، وهو الذي يصلي على الموتى ويتكفل شؤونهم وهو القاضي الذي يوقع الطلاق وهو المصلح بين المتخاصمين وهو الواعظ في مجـالس التأبين وهو المبيّن للأحكام الشرعية للناس وهـو الذي يـفسر القـرآن في شهـر رمضان المبارك وبعد كـل هـذا وذاك هـو مـفسر الاحـلام وكـاتب الحـجابات والطلسمات!

الفصل الخامس

ادوات الدعوة

* الحوار الإسلامي ـ المسيحي
  - الحوار في القرآن
  - الاسلام يدعو اهل الكتاب إلى الحوار
  - الحوار الإسلامي ـ المسيحي في الغرب
* الحوار الإسلامي ـ الإسلامي
* ترجمات القرآن ونشره
* مؤسسة الزواج
* منبر الجمعة

الحوار الإسلامي - المسيحي

الحوار في القرآن

لقد حفل القرآن الكريم بنماذج كثيرة من الحوار بين الأنبياء وطواغيت عصرهم والنخبة القوية من اممهم. فعلى سبيل المثال يذكر القرآن الكريم نماذج من الحوار بين نوح والملأ من قومه، وهم علية القوم الذين كانوا يؤلبون عليه ويعارضونه، يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ *

أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ *

فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ *

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ *

وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ *

وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ *

وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ *

قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ *

وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١].

كما يروي القرآن الكريم قصة حوار إبراهيم عليه السلام مع نمرود ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢] كما يروي القرآن الكريم صوراً من حوار موسى عليه السلام مع طاغية عصره فرعون وحوار هود عليه السلام وصالح عليه السلام مع عاد وثمود كما يروي ايضاً حوار مجموعة من النصارى مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حول بنوّة المسيح عليه السلام لله عَزّوجَلّ.

وقد يطلق القرآن الكريم على الحوار اسم الجدال ﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[٣] وقد يطلق على الحوار عنوان المحاججة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ﴾[٤] أو قد يطلق عليه عنوان الحوار: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾[٥] وعملية الحوار تحوز على اهمية كبرى، كونها تقوم بنقل وجهات النظر المتباينة بين المتخاصمين مباشرة، وتسمح بالتالي لمن له مسكة من عقل ان يحكم بين المنطقين والرأيين أيهما سقيم وأيهما سديد.

---

(١) سورة هود: الآيات ٢٥ ـ ٣٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٣) سورة هود: الآية ٣٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٥) سورة الكهف: الآية ٣٤.

الإسلام يدعو أهل الكتاب إلى الحوار:

ولقد دعىٰ الإسلام أهل الكتاب إلى الحوار، بل واجرى معهم حواراً مفتوحاً من جانب واحد واليك بعض النماذج:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ؟

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؟

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ولقد كان الرسول الأعظم ﷺ قد شارك بنفسه في حوار مع وفد من اساقفة نجران، ونجران كانت مدينة في جنوب غربي الجزيرة العربية يقطنها المسيحيون، وحين ظهر النبيّ ﷺ قدم وفد منهم إلى المدينة لاجراء حوار مع الرسول ﷺ حول بنوّة المسيح عليه السلام لله عزّ وجلّ.

يقول الفخر الرازي في تفسير الآية الكريمة: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٦٥ و ٦٦.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ٧٠ ـ ٧٣.

خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَـيَكُونُ﴾[1] قال: «أجمع المفسرون على ان هـذه الآيـة نزلت عند حضور وفد نجران على الرسول ﷺ وكان من جملة شبههم ان قالوا: يامحمّد، لما سلمت انه لااب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله تعالى فقال: ان آدم لم يكن له أب ولا أم ولم يلزم أن يكون ابناً لله تعالى، فكذا القول في عيسى عليه السلام هذا حاصل الكلام»[2].

ولقد كان القرآن الكريم أول كتاب سماوي يدعو أهل الكتاب، اي اليهـود والنصارى، إلى حوار يبتني على المنطق التالي: وهـو العـمل ضـمن المشـتركات واهمها عبادة الله الواحد الاحد دون شريك، ودون استعلاء لبعض عـلى بـعض. لنستمع إلى القرآن الكريم: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَـوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[3].

وهذه الآية الكريمة دليل واضح على انفتاح الاسلام على الاخر والقبول به كشريك في الحوار، وكذا العيش المشترك!

وقد حرص الاسلام على ان يكون حوار المسلمين مع أهل الكتاب، مـن النصارى واليهود، حواراً مبتنياً على الاحترام، بعيداً عن الاثارة وتبادل الكلمات الحادّة. يقول القرآن الكريم: **﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّـذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَـحْنُ لَـهُ**

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي مجلد ٣ ص٢٤٢ طبعة دار احياء التراث العربي.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

مُسْلِمُونَ﴾(١).

الحوار الإسلامي ـ المسيحي في الغرب

لقد اسلفنا ان الرسول ﷺ كان اوّل من اجرى حواراً مع النصارى حين قدم وفد منهم من نجران يحاورونه حول المسيح عليه السلام وميلاده الذي تم بمعجزة...

واليوم فان المسلمين في الغرب لابد ان يشاركوا في حوار الاديان وخصوصاً في الحوار الاسلامي ـ المسيحي وذلك للمعطيات التالية:

أوّلاً: ان دخول المسلمين في مثل هذا الحوار يضمن قبولاً لهم على الساحة الدينية، ويؤسس للاعتراف بالاسلام كدين سماوي جنباً إلى جنب مع المسيحية واليهودية.

وثانياً: ان مشاركة المسلمين في الحوار الاسلامي ـ المسيحي، تمكّن المسيحيين من التعرف عن كثب على عقيدة المسلمين التي تقترب كثيراً من عقيدة المسيحية في كثير من الأمور، وفيها الكثير من المشتركات بين الديانتين، ويكشف للمسيحيين ان الاسلام في صلبه يعترف بالمسيحية ديناً سماوياً، وبالمسيح عليه السلام نبياً من اولي العزم، وانه ورد ذكره في القرآن مايقرب من ١٢٤ مرة وهو ثاني اكثر الأنبياء ذكراً في القرآن بعد موسى عليه السلام والذي ورد ذكره في القرآن الكريم ١٣٦ مرة.

كما سيوفر الحوار الاسلامي ـ المسيحي فرصة للمسيحيين للاطلاع على سورة مريم في القرآن الكريم والتي تذكر تفصيلياً قصة ميلاد المسيح عليه السلام وتبجل

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

السيدة مريم العذراء اكبر تبجيل، وسيكتشف المسيحيون ان المسلمين لايقلون عنهم في حب عيسىٰ عليه السلام وتعظيمه ان لم يزد ذلك الحب والتعظيم عما يكنه المسيحيون له.

وللتدليل على عميق حب المسلمين للمسيح عليه السلام اذكر دوماً للجمهور المسيحي الذي اتحدث إليه ان الاسلام والمسلمين لايتهاونون ابداً بشأن اهانة المسيح عليه السلام والتقليل من شأنه. ولو ان كتاباً كالذي طبع في الولايات المتحدة ووزع فيها وعنوانه [Jesus The Illegitimate Son of Mary] «المسيح: الابن غير الشرعي لمريم»، يوزع أو يطبع في العالم الاسلامي لقامت القيامة على اثر ذلك. ولخرجت مسيرات الاحتجاج والمظاهرات تهز البلاد، بينما كل هذا لايحدث في بلد يدعي حب المسيح عليه السلام!

نعم، نحن نختلف مع المسيحيين في اننا لا نعتقد بأن المسيح عليه السلام هو ابن الله ولكن روحه وكلمته القاها إلى مريم!

واتذكر انني حين القيت كلمة بحضور الكاردينال لحام الثالث، بطريرك سورية والذي جاء لزيارتنا في المركز الاسلامي عام ٢٠٠٢، وذكرت فيها كلمة الإمام عليّ عليه السلام الناس صنفان: اما اخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق[١]، اتذكر ان البطريرك لحام قام من مكانه وعانقني واستعاد كلمة الإمام عليّ عليه السلام تلك، ثمّ القى كلمة جوابية وذكر فيها ان ما يجمع بين المسلمين والمسيحيين اكثر ممّا يفرق بينهم!

وثالثاً: فان مشاركة المسلمين في الحوار الاسلامي ـ المسيحي تضمن

(١) نهج البلاغة باب المختار من كتب أمير المؤمنين ورسائله إلىٰ أعدائه وأمراء بلاده كتاب ٥٣.

للمسلمين بقاء المسيحيين على الحياد -على الاقل إن لم يكن لهم دور للمناصرة -في الصراع مع الصهاينة!

لقد استغل اليهود علاقتهم مع المسيحيين، وأسسوا لحوار يهودي - مسيحي، خرج بتوصية مجمع الفاتيكان في العام ١٩٦٤ يبرئ اليهود من دم المسيح عليه السلام ويدعو إلى التركيز على المشتركات بينهم وبين اليهود يصل إلى حد التحالف.

ولهذا السبب تقدمت بالطلب إلى البابا بنديكت السادس عشر، حين التقيته في مارس ٢٠٠٦ في الفاتيكان وكذا في ايار ٢٠٠٨ في واشنطن اثناء زيارته للولايات المتحدة، بالتأكيد على ضرورة قيام حوار دائم بين المسلمين والمسيحيين، يتم التركيز فيه على المشتركات ويتم ايضاً فيه تحديد الاولويات. خصوصاً وان العالم الاسلامي الشرقي اليوم اخذ يتجه نحو الصدام مع العالم المسيحي الغربي، وذلك بسبب السياسات الخرقاء التي تقوم بها بعض القوى العظمى اليوم في استفزاز مشاعر المسلمين، ونتيجة لاحتلال فلسطين وافغانستان والعراق وكذلك بسبب موجة التطرف التي سادت العالم الاسلامي!

والواقع فانني إلى جانب زملائي العلماء الباحثين والاكاديميين المسلمين في الولايات المتحدة التزمنا منذ سنوات مبدأ المشاركة في الحوار الاسلامي - المسيحي الذي يجري هنا في الغرب، واصبحت عضواً في لجنة الحوار الاسلامي - الكاثوليكي لوسط الولايات المتحدة، وقمت باستضافة الملتقى العاشر لهذا اللقاء في المركز الاسلامي في اكتوبر ٢٠٠٧ ولمدة ثلاثة ايام، تم فيها بحث قضايا العقيدة والمشتركات الفكرية بين الديانتين الكبيرتين.

ومن الطريف انني في هذا الملتق التقيت بباحثة كاثوليكية تدرّس في جامعة نورتردام، وهي جامعة كاثوليكية عريقة في ولاية إنديانا، كانت قد كتبت كتاباً بعنوان (التقوى والخوف من الله)، واقتبست بعض بحوثها من كتاب إحياء العلوم للغزالي والمحجة البيضاء للفيض الكاشاني واستشهدت بأقوال الفيلسوف السهروردي والداماد!

وأعود لأؤكد على ان الحوار الاسلامي ـ المسيحي هو احد وسائل الدعوة الاسلامية في الغرب، وهو احد الطرق التي نتمكن من خلالها من كسب الاخرين إلى صف الاسلام. وهناك بعض السذج من المسلمين ممن ينتقد هذا الحوار ولايرى جدوى منه، وهؤلاء يفضلون للمسلمين الانعزال والتطرف، ولهؤلاء ولغيرهم اقول: ليس من البطولة في شيء ان تحوّل الصديق إلى صديق بل من البطولة ان تحول العدو إلى صديق، وأن تضيف للاسلام صديقاً واحداً خير من ان تخلق عدواً جديداً له، وان تشعل شمعة في الظلام خير من ان تلعن الظلام الف مرة!

الحوار الإسلامي ـ الإسلامي

عقد بعض المسلمين هنا قبل سنوات ندوة شارك فيها عدد من الباحثين والعلماء المسلمين وكنت احد المشاركين فيها، وفي ختام الندوة تم توجيه الاسئلة من الجمهور وقام احدهم وطرح سؤالاً على احد المشاركين في الندوة وهو الصديق الدكتور ماهر حتحوت رئيس المركز الاسلامي في جنوب كاليفورنيا، وكان السؤال: ماذا فعلتم انتم القيادات الاسلامية في الولايات المتحدة بخصوص الحوار مع المسيحيين؟ وكان السائل متحمساً جداً للموضوع. فأجاب الدكتور حتحوت بأننا نحن المسلمين ليست لدينا مشكلة في الحوار مع المسيحيين، فالحوار قائم معهم، ولكن المشكلة ان المسلمين لايتحاورون مع المسلمين!

نعم، نحن بحاجة إلى تعميق الحوار الاسلامي ـ الاسلامي وخصوصاً الحوار بين السنة والشيعة. فالطائفتان الكريمتان السنية والشيعية ينتمي اليهما كل المسلمين في الولايات المتحدة، وقد مرت العلاقة في الماضي بشيء من الفتور، وهي اليوم تمر بمرحلة من النمو المشهود، فهناك تزاور ولقاء بين علماء الطائفتين، وتأكيد على الاخوة الاسلامية، وفي العام الماضي (٢٠٠٧) وقّع عدد من العلماء السنة والشيعة في الولايات المتحدة في احتفال مشهود الوثيقة التي عرفت بوثيقة الشرف [Hon or Code] والتي تقضي بأن يقوم علماء الطرفين على تكريس مفهوم الوحدة الاسلامية بين ابناء الطائفتين، ونبذ الطائفية، وفتح مساجد المسلمين السنة للشيعة، وبالعكس، وان تتجنب المراكز الاسلامية في الولايات المتحدة التأجيج المذهبي ولغة الاثارة والتهريج. وكان لهذا الاحتفال اثر طيب في نفوس المسلمين

جميعاً سنة وشيعة.

ولكي لايساء فهم كلامي، فاني اؤكد هنا ان المطلوب ليس تنازل الشيعة عن مذهبهم واعتناق التسنن ولا العكس ايضاً، فالشيعي يبقى شيعياً والسني يبقى سنياً، دون الحاجة إلى الاستعداء، والتشاحن والبغضاء ولكن المطلوب هو التركيز على المشتركات الكثيرة التي تجمع الطائفتين الكبيرتين، على ان يتمسك بعد ذلك السني والشيعي كلٌ بمذهبه وفقهه.

والواقع فان الحوار الاسلامي ـ الاسلامي اي الحوار بين السنة والشيعة يساعد على اذابة جبال من جليد الخلافات لمجرد ان يلتقي الطرفان ويتعرفان ويؤكد ان على مرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لدى الطائفتين.

أذكر انني طُلب مني ذات مرة ان افتتح احدى جلسات الحوار السني الشيعي بتلاوة القرآن الكريم فقرأت ـ عن ظهر قلب ـ سورة الغاشية، ولما انتهيت منها اقترب مني احد الاخوة العلماء السنة وقال لي: بصراحة ياشيخ حسن كنت اظن انكم أنتم الشيعة لكم قرآن غير هذا القرآن وتعجبت اليوم ان رأيتك تقرأ وتحفظ نفس القرآن الذي نقرأوه نحن السنة!

فابتسمت وقلت له ان هذه دعاية بثها خصوم الشيعة. وللحقيقة اقول فان السنة هم ليسوا خصوم الشيعة، وإنّما خصوم الشيعة هم الوهابيون السلفيون الذين ليست لهم تجارة يتاجرون بها إلّا وحدة المسلمين وليست لديهم بضاعة يبيعونها إلّا ترويج الحقد والكراهية ضد الشيعة. ومن المؤسف ان المذهب السلفي الوهابي اصبح قوياً في العقود الاخيرة بفضل عوائد النفط التي مكنت هؤلاء من بث بروبجندا معادية للشيعة، وتحريض السنة ضد اخوانهم الشيعة.

وعلى اثر قوة التيار السلفي الوهابي المدعوم بأموال النفط والتي مكنته من

شراء الذمم والنفوس الضعيفة، تمكن هذا التيار احياناً من اختطاف القيادة في العالم الاسلامي السني وتضاءل الدور القيادي التاريخي للازهر الشريف ومشيخة الازهر، واصبحت جامعة المدينة المنورة مركزاً ووكراً للفكر الوهابي المسموم الذي يغدق بعطاءه على الطلاب الذين يقصدون هذه الجامعة من مختلف دول العالم الاسلامي، دون معرفة الاجندة الحقيقية التي تختفي وراءها الجامعة الوهابية المذكورة.

اتذكر أنني في العام ٢٠٠٠ زرت القاهرة والتقيت مع مفتي الجمهورية آنذاك فضيلة الشيخ نصر فريد واصل وقد حاولت ان ابيّن لفضيلته فداحة المأساة التي حلت بالعالم الاسلامي يوم تمكن الوهابيون من التحدث باسم العالم السني، وتضاؤل دور القيادة الاسلامية السنية لعلماء مصر والازهر، وذكرت لفضيلته حادثة جرت معي قبيل لقائي معه بأيام، حيث قدم وفد من الطلاب السعوديين وفيهم امراء من العائلة الحاكمة إلى المركز الاسلامي في اميركا ـ ديترويت (الذي أعمل فيه) بصدد اداء صلاة الظهر فيه، وهم كانوا في زيارة قصيرة لديترويت. وحين علم هؤلاء بأن المسجد يؤمّه الشيعة اخذوا يتصايحون بأعلى أصواتهم وهم بداخل المسجد: هذا مسجد المشركين، هذا مسجد الرافضة!

ولما خرجت من مكتبي لاستفسر عن الضوضاء التي عمت المسجد رأيتهم يخرجون من قاعة المسجد وهم يرددون: مشرك، مشرك. ثمّ خرجوا من المركز الاسلامي ورأيتهم يصلّون على عشب الحديقة الامامية للمركز المطلة على الشارع العام!

رويت ذلك لفضيلة الشيخ نصر فريد واصل مفتي الجمهورية المصرية وشاركني اللوعة والالم لسيطرة التيار الوهابي على القرار الاسلامي ثمّ قال لي:

كنت أُدرّس الفقه الشيعي، حينما كنت أُدرس في الجامعة وكان البعض يلومني إلّا انني لم أأبه بما قالوا، واليوم فاني لا الزم نفسي بالافتاء وفق اي مذهب وإنّما انتقي الاحسن من المذاهب الاسلامية وكثيراً ماافتي في مسائل الاحوال الشخصية وفق المذهب الشيعي الإمامي!

ان من اهم ادوات الدعوة في الغرب هو تكريس الحوار الاسلامي ـ الاسلامي وتعزيز الاواصر بين الشيعة والسنة، ليتفرغ الدعاة والعلماء والمبلغون من الطرفين بعد ذلك إلى نشر رسالة الاسلام السمحاء ولكي ينزعوا ويذيبوا اَي شائبة تعلق بصورة هذا الدين الحنيف جرّاء الخلافات بين المذاهب.

لقد عدت قبل ايام قليلة ماضية من مناظرة شاركت فيها بالدوحة عاصمة قطر تعرف بمناظرات الدوحة، وتبث من قناة BBC البريطانية العالمية، وكان موضوع الحلقة هو الصراع السني الشيعي ومدى تأثيره على سمعة الاسلام في الغرب كدين يدعو إلى الاسلام، وكان من رأيي ان الشيعة والسنة إخوة لايفرقهم شيء، وقد عاشوا لقرون طويلة متآخين متحابين في كثير من بقاع العالم الاسلامي، ومايجري اليوم من صراع بين السنة والشيعة، إنّما هو نزاع سياسي ووراءه أجندة سياسية لادينية، وقلت ايضاً أن النزاع هذا يجب ان لايؤثر على سمعة الاسلام كدين سلام، كما ان النزاع بين بعض الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندة الشمالية لم يؤثر على سمعة المسيحية كدين يدعو إلى السلام. والقيت باللائمة على المتطرفين من الطرفين، السنة والشيعة، وتحديداً على التيار السلفي المتطرف الذي لايعرف منطقاً سوىٰ لغة الموت والقتل والتخريب لأن هذا جهدهم وثقافتهم، وهم يقتلون اليوم كل من يخالفهم سواء من الشيعة أو السنة، ومن قتل بالامس على ايديهم في الجزائر والقاهرة واسطنبول وجاكرتا لم يكونوا شيعة وإنّما

كانوا سنة، وهذا يكشف ان الصراع في العالم الاسلامي اليوم ليس بين السنة والشيعة وإنّما بين الاقلية المتطرفة والاكثرية المعتدلة، بين من يؤمن برسالة السلام وثقافة التسامح وبين من يعتنق ثقافة القتل والتعصب!

ورغم اني عارضت في المناظرة من كان يقول ان النزاع الشيعي السني قد دمر سمعة الاسلام كدين سلام، إلّا انني اعتقد وبقوة ان العلاقات الاخوية بين الطائفتين الكبيرتين ستؤثر ايجابياً بالتأكيد على صورة الاسلام المشرقة، وستساعد الدعاة والعاملين في حقل التبليغ في الغرب ان يقدموا نموذجاً مشرقاً يظهر صورة الاسلام الناصعة ويشجع الاخرين على الانضمام إلى هذا الدين الحنيف!

واني انتهز هذه الفرصة لأحيي جهود العاملين المخلصين، والدعاة المنفتحين في الغرب امثال الدكتور ماهر حتحوت وشقيقه الدكتور حسان حتحوت، والدكتور طه جابر العلواني والدكتور جمال البرزنجي والدكتور جمال بدوي وآخرين غيرهم كثير!

ترجمة القرآن الكريم والمصادر الإسلاميّة

ان من اهم وسائل الدعوة الاسلاميّة في الغرب هو نشر القرآن الكريم وتوزيعه ووضعه في متناول الناس، ليتعرفوا على فكر الاسلام، واسس الوحي وإعجاز القرآن الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والقرآن الكريم كما وصف نفسه هو شفاء لما في الصدور، وهو يدعو للتي هو اقوم ويبشر المؤمنين وهو ايضاً بيان للناس وهدى وموعظة، وبالتالي فلن تكون هناك وسيلة اجدى لعرض الاسلام في الغرب من وضع القرآن في متناول الناس لكي يدرسوه ويفهموه ويقرأوه.

ولاشك ان ترجمة القرآن الكريم تلعب دوراً كبيراً في هذا المجال، إذ أن الغربيين لن يتمكنوا من فهم القرآن الكريم إلّا إذا تمت ترجمته إلى لغتهم، ترجمة دقيقة وسهلة يسيرة.

وعلى الرغم من وجود العديد من الترجمات القرآنية إلى اللغة الانكليزية إلّا ان اياً منها حتى الآن لم يرق إلى المستوى المطلوب، فهي إمّا غير دقيقة في ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الانكليزية، أو أنها ركيكة من حيث الصياغة والبناء اللغوي والبلاغة.

وتسببت عدم دقة الترجمة إلى اعطاء فكرة غير صحيحة عن القرآن الكريم، وبالتالي عن الاسلام. فمثلاً الترجمة الاشهر للقرآن الكريم هي ترجمة المرحوم يوسف علي، واصله من الهند. وهذه الترجمة تحتوي على اخطاء فادحة أو انها تعتمد في ترجمة معاني القرآن على آراء شاذة لم تأخذ بها اكثرية المسلمين.

فعلى سبيل المثال الآية الكريمة في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١) والمراد من قوله تعالى: لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء، أي لاتتخذوهم حلفاء والحال انهم يضمرون العداوة للمسلمين، كما ذكر المفسرون. والخلاصة ان الآية نهت المسلمين في المدينة عن التحالف مع يهود المدينة الذين كانوا يومئذ يضمرون العداء للاسلام والمسلمين. بينما نجد المترجم يوسف علي قد فسّر في ترجمته «اولياء» بـ«اصدقاء» فكأن الآية تنهى المسلمين عن اتخاذ اليهود والنصارى اصدقاء بشكل مطلق وهو ما لم تقصده الآية الكريمة. يقول سبحانه: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢). كما يعمد ذات المترجم حين يترجم آية التطهير وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(٣) فيترجم «عنكم» و«يطهركم» إلى «عنكنّ» و«يطهركنّ»، ليوحي بأن آية التطهير إنّما نزلت في نساء الرسول ﷺ، بينما سياق الآية الكريمة ونصها واضح ان المقصود في الآية ليست نساء الرسول ﷺ وإلّا لاستعمل القرآن الكريم نون النسوة كما صنع في الآيات التي سبقت هذه الآية الكريمة.

وحين يترجم معنى الميتة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥١.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ٨.

(٣) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

الْخِنْزِيرِ.....﴾[١] فهو يترجمها بأنها كل حيوان مات حتف انفه (دون ذبح) بينما يذكر المفسرون في تعريف الميتة (انها كل مافارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير تذكية)[٢]، وهناك فرق واضح بين المعنيين، إذ لو فسرنا الميتة كما ترجمها يوسف علي لجاز اكل الحيوان المذبوح وان لم يكن مذكى (أي على الطريقة الشرعية)، كما هو المتعارف في مسالخ الغرب، ولكن لو فسرنا الميتة حسب ماذكر المفسرون فان كل حيوان ذبح بغير الطريقة الشرعية (وهي استقبال القبلة وفري الاوداج الاربعة وخروج الدم المتعارف واستعمال الحديد والتسمية وكون الذابح مسلماً) لايعدّ حلالاً ويبقى ميتة.

وعلى كل حال، فقد اردت من خلال استعراض هذه النماذج ان اؤكد الحاجة إلى ترجمات اكثر دقة في نقل معاني القرآن الكريم واكثر فصاحة وسلاسة وبلاغة.

واني اوجه النداء إلى الباحثين والعلماء وكذا إلى الحكومات الاسلامية الحريصة على امر هذا الدين في الغرب، ان تقوم بتشكيل لجنة تضم عدداً من الخبراء والعلماء في فن الترجمة وعلم التفسير واللغة والتأريخ للقيام بهذه المهمة العسيرة، التي اظن انها اعسر من ان يقوم بها مترجم أو باحث واحد.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى المصادر الاسلامية الكبرى، كنهج البلاغة والصحيفة السجادية وذخائر التراث الاسلامي وكنوزه التي إن ترجمت إلى الانكليزية ترجمة دقيقة وجذابة فسيكون ذلك إسداءً لخدمة كبرى للاسلام

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) مجمع البيان ج٣ ص٢٧٠ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ-بيروت.

والمسلمين، وسيوفّر للباحثين والعلماء والطلاب المتكلمين باللغة الانجليزية فرصة الاطلاع والتعرف على هذه الكنوز وسيسهم ذلك في نشر الاسلام خصوصاً في اوساط الطبقة الغربية المثقفة.

ورغم ان بعض هذه الكتب قد ترجمت فعلاً إلى الانكليزية إلّا اني وجدت اكثر هذه الترجمات غير حِرفية، قام بها اشخاص متطفلون لايجيدون الكتابة بالانجليزية الاكاديمية، وهي بالتالي ترجمات ركيكة تقلل من أهمية هذا التراث الثمين.

مؤسّسة الزواج

لقد كان الزواج ولا يزال في الاسلام وسيلة من وسائل تعميق وشائج القربى بين الشعوب وتحطيم العصبية واقتلاع العنصرية، وذلك من خلال السماح بل وتشجيع التزاوج بين الشعوب، ولكي لا يعتز المسلم بعرقه وقبيلته اعتزازه بالاسلام. يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

ولقد كان ائمة أهل البيت عليهم السلام يحرصون على الزواج من غير العربيات محاولة منهم لكسر العصبية، واقتلاع العنصرية من النفوس، وتكريساً للمساواة بين الناس.

يروى ان عبد الملك بن مروان كتب للإمام علي بن الحسين عليه السلام يقول: اما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وتركت أكفاءك من قريش ممن تستنجبه للولد وتمجد به في الصهر فلالنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت.

فكتب له الإمام علي بن الحسين عليه السلام: اما بعد فقد بلغني كتابك وتعنّتي بتزويجي مولاتي وتركت اكفائي من قريش. فليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله منتهى في شرف ولاغاية في نسب. وإنّما كانت ملك يمين خرجت عن يدي بأمر التمست فيه ثواب الله ثمّ ارتجعتها على سنة نبيّنا صلى الله عليه وآله، وقد رفع الله بالاسلام الخسيسه ووضع

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

عنّابه النقيصه. فلا لوم على امرئ مسلم إلّا في مأثم وإنما اللوم لوم الجاهلية[١].

وعلى خطى الإمام علي بن الحسين عليه السلام سار بقية الأئمة عليهم السلام فتزوجوا من نساء غير عربيات واولدوهن، وفي الأئمة عليهم السلام من امّه ام ولد او جارية، وفيهن النوبيات (من بلاد النوبة في السودان) كما هو الحال مع الإمام الجواد عليه السلام، وفيهن الروميات كالسيدة نرجس ام الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، وفيهن الفارسيات كالسيدة شاه زنان بنت ملك الفرس يزدجرد الثالث، ام الإمام زين العابدين عليه السلام وزوجة الإمام الحسين عليه السلام.

ولعل الأئمة عليهم السلام من خلال زواجهم من غير العربيات وغير القرشيات كانوا بالاضافة إلى محاولتهم كسر الحواجز النفسية واقتلاع العصبية القبلية من النفوس، كانوا يحاولون ايضاً نشر رسالة الاسلام وايصالها إلى هذه الشعوب من خلال تمتين اواصر المصاهرة معهم.

ومن هنا فإني ارى ان الزواج من الغربيات كان ولايزال احد وسائل نشر الاسلام في هذه البلاد. إذ اعتنق الاسلام بسبب الزواج الاف النساء الغربيات اللواتي تزوجن من مسلمين، بل واصبح بعضهن داعيات مخلصات للاسلام، ويتحدث بعضهن عن تجربتهن في اعتناق الاسلام بكل حماسة، ويحرصن على تربية ابناءهن تربية اسلامية خالصة.

وبسبب المغالاة في المهور، والمطاليب المادية غير الواقعية، وكذلك الرغبة في الحصول على بطاقة الاقامة الدائمة، يلجأ بعض الشباب المسلم المهاجر في الغرب إلى الزواج من غربيات. وفي هؤلاء الشباب من يبدي لا مبالاة واضحة تجاه دعوة زوجته وتشجيعها لاعتناق الاسلام. واسباب هذه اللامبالاة هو اما عدم التزام

---

(١) الكافي للكليني ج ٥ ص ٣٤٥ كتاب النكاح باب آخر منه ح ٤.

هؤلاء الشباب دينياً وبالتالي فهم غير متحمسين اصلاً لدعوة زوجاتهم إلى الاسلام، وإما سبب أناني، نتيجة رغبة الزوج في الحصول على مكاسب مادية (كبطاقة الاقامة الدائمة) فحسب من خلال هذا الزواج.

وكما كان الزواج من الغربيات احياناً سبباً لهداية الكثير منهن، واعتناقهن الاسلام، كان هذا الزواج ايضاً سبباً لذوبان بعض المسلمين احياناً اخرىٰ، وتأثرهم بالحضارة الغربية وتخليهم عن دينهم، وعقيدتهم نتيجة تأثرهم بنسائهم غير المسلمات!

واعرف صديقاً مسلماً قام بتطليق زوجته المسيحية التي لم يدعها يوماً إلى الاسلام، فحصلت على حضانة ابناءه بقرار المحكمة الاميركية، ثمّ قامت بتنصير ابناءه وتعميدهم في الكنيسة، وانقطاع صلتهم فيما بعد بالاسلام نهائياً.

وصديق آخر تزوج من امرأة غير مسلمة وكان لها تأثير كبير عليه وعلى ابناءه، وبتأثير منها، تزوجت احدى بناته يهودياً والاخرى نصرانياً.

وعلى كل حال، يبقى الزواج في الغرب وسيلة من وسائل نشر الاسلام، وهداية الناس، وتعريف الغربيين بهذا الدين العظيم. هذا شريطة ان يكون الزوج حريصاً على هذه الدعوة، مدركاً لمسئووليته الشرعية تجاه زوجته وابناءه، ومتفانياً في توفير كل الفرص امام زوجته لمعرفة الاسلام، ومضحياً براحته ووقته وماله من اجل هذا الهدف المقدس، والذي اظن انه من اعظم الاعمال اجراً عند الله سبحانه، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام: «**لئن يهدي الله بك امرءً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس!**»[1].

(١) الكافي للكليني ج٦ ص٢٨ كتاب الجهاد باب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح٤.

منبر الجمعة

ان الآف المسلمين في الولايات المتحدة وفي الغرب عموماً يتوجهون إلى المساجد والمراكز الاسلامية يوم الجمعة، لاداء صلاة الجمعة التي يراها المسلمون السنة واجباً عينياً، بينما يراها المسلمون الشيعة واجباً تخييرياً في زمن الغيبة مع رجحان الجمعة على الظهر.

وتزدحم مساجد المسلمين في الولايات المتحدة بالمصلين المسلمين، علماً ان يوم الجمعة هو ليس يوم عطلة في الغرب، وإنّما يوقّت المسلمون العاملون ساعة الفرصة والغداء التي تمنح لهم في اعمالهم، لاداء صلاة الجمعة في اقرب المساجد اليهم.

وكما تزدحم المساجد بالمصلين المسلمين يوم الجمعة، تزدحم ايضاً بالزوار الاجانب غير المسلمين الذين يحضرون اما بدافع الفضول، أو التعرف على الاسلام، وهؤلاء يجلسون خارج قاعة الصلاة، ويستمعون إلى خطبة الجمعة.

وكثير من خطباء الجمعة، وانا واحد منهم، يخصصون احدى خطبتي الجمعة للحديث باللغة الانكليزية، وكثيراً ما ارى هؤلاء الضيوف يأخذون اقلامهم مدوّنين ملاحظات سمعوها من خطيب الجمعة، ويأتي بعضهم إلى الإمام بعد الصلاة ليناقشه فيما يستمع من خطبته.

ومن هذا المنطلق، اؤكد على اهمية الموضوع الذي يطرقه خطيب الجمعة في خطبته. إذ ينبغي على الإمام إلّا يفوت هذه الفرصة الثمينة ويركز حديثه على المواضيع الاخلاقية، والتربوية والعقائدية. كما يجب ان لاينسى ايصال رسالة

الاسلام للضيوف غير المسلمين، وتعريفهم بالاسس العامة لهذا الدين.

اتذكر ذات مرة اني حضرت صلاة الجمعة في واحد من المساجد في مدينة لوس انجلس بولاية كاليفورنيا، وكان المسجد غاصاً بالحضور وفوجئت بحديث خطيب الجمعة الذي تركّز وطوال اربعين دقيقة على اهمية السواك في الاسلام، وضرورة ان يستاك المسلم خمس مرات في اليوم بهذا المسواك المأخوذ من شجر الاراك. واسهب خطيبنا المحترم ومن خلال مرويات متعددة رواها عن الصحابة، يرفعونها إلى النبيّ ﷺ في الحديث عن اهمية المسواك حتى ظننت ان المسواك ليس امراً مستحباً وإنّما تحول إلى اصل هام من اصول الدين!

وقلت في نفسي، ليت شيخنا هذا بدلاً من خطبة المسواك المحمومة، تحدث عن امر يهم الجالية، او عن اصل اخلاقي، كضرورة النزاهة في التعامل مع المسلم والكافر، وصدق الحديث، واداء الامانة، والاحسان إلى الاخرين، وضرورة كف اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب... الخ..

وكم تعجبني نباهة بعض الخطباء المسلمين الذي اجده يتحدث عن امر معين ثم اراه يغير الموضوع قليلاً ليتحدث عن سماحة الاسلام، وتسامحه، وتكريسه لمبدأ العفو والرحمة، والمحبة والتكامل الاجتماعي، وحين التفت قليلاً اجد مجموعة من غير المسلمين قد دخلت قاعة المحاضرات للتو، فأكبر في هذا المتحدث التفاتته ونخوته على الاسلام، واخلاصه لدينه، وفطنته.

وكم نحن في الغرب بحاجة إلى خطباء يفهمون عقول محدثيهم، وينسابون معهم انسياباً تلقائياً، ويزرعون في نفوس مستمعيهم حب الاسلام والاعجاب به، ويؤثرون فيهم تأثيراً ينقلهم احياناً من خانة الاعداء والمستهزئين إلى خانة الاصدقاء والمدافعين المتحمسين.

الفصل السادس

القوى المناهضة للدعوة الإسلاميّة

١ - الصهاينة

٢ - المسيحيون المتطرفون

٣ - المسيحيون الصهاينة

٤ - الاعلام المنحاز



الصهاينة (اللوبي الصهيوني)

هناك اربع قوىٰ رئيسية في الولايات المتحدة تناهض الاسلام، وعلى رأس هذه القوى هو اللوبي المناصر لاسرائيل.

وهذا اللوبي يعد في الواقع اقوى اللوبيات (تيار الضغط) العاملة في واشنطن. وهو لوبي متمرس في لعبة ممارسة الضغط على كل المسؤولين، وخصوصاً اولئك الذين يتلكأون في مناصرة اسرائيل أو المشاريع الصهيونية.

وبلغ من قوة هذا اللوبي ان اصبح انتقاد اسرائيل من اكبر المحرمات السياسية، في بلد لايعرف محرماً سياسياً إلى درجة ان هناك من يستعرض، وبكل حرية وعلى صدر صفحات كبرى الصحف الاميركية، تفاصيل العلامات الفارقة في اعضاء الرئيس الاميركي بيل كلينتون التناسلية دون خوف أو وجل، لكنه يخاف انتقاد اسرائيل.

واصبحت تهمة معاداة السامية تهمة يرتعد منها الجميع، ويتمنىٰ ان يتهم بأي تهمة اخرى حتى لو كانت ارتكاب جريمة قتل، وان لايتهم بهذه التهمة المرعبة!

ولعلمه بأن السلطة التشريعية هي مركز القوة الاكبر في الولايات المتحدة، فقد قام اللوبي المناصر لاسرائيل بالسيطرة الكاملة على الكونغرس ومجلس الشيوخ الاميركيين، إلى درجة ان كل اعضاء مجلس النواب والشيوخ يخطبون ودّ هذا اللوبي ويتلقون الدعم المالي منه، وإذا تجرأ أحد النواب على معارضة اسرائيل ومناصريها، فهم ينزلون بقضهم وقضيضهم لحربه، ويسخّرون كل طاقاتهم

لتحطيمه، ولايدعونه وشأنه حتى يطيحوا به.

اتذكر أنّ صديقاً مسلماً دعاني في صيف ٢٠٠٤ لحضور حفلة اقامها في الفيلا التي يملكها، لدعم احد اعضاء الكونغرس المناصرين للعرب والمسلمين، وأسمه جورج هليارد من ولاية الاباما، بعد ان اعلن عن معارضته لاسرائيل، وقرر انصارها حينئذ تصفيته، من خلال اسقاطه في الانتخابات.

توجه عضو الكونغرس هليارد إلى الحاضرين قائلاً:

إذا خسرت مقعدي في هذه الانتخابات فلن أخسر كثيراً، لأني اخطط للعمل على فتح مركز ثقافي اسسته بعنوان المركز الافريقي الثقافي، وتمكنت من تأمين المال اللازم لافتتاح مثل هذا المركز، ولكني إذا خسرت في الانتخابات فستخسرون أنتم ايها المسلمون، كوني مناصراً لكم، وأنتم تعلمون ان مناصريكم في الكونغرس يعدون على الاصابع.

ثمّ اضاف: إنّ خسارتي في الانتخابات سترسل برسالة قوية مفادها ان من يناصركم سيخسر، ومن يقف ضدكم ينجح، وستضيف عضواً جديداً في الكونغرس مناصراً للصهاينة، وستقوّي بالتالي من شوكة خصومكم.

ولقد طلب هذا العضو من الحاضرين المسلمين تقديم بعض العون له. ورغم ان الحاضرين لم يبخلوا في تقديم العون، لكن كان ماقدموه لايمثل شيئاً بالنسبة لما قدّمه انصار اسرائيل لخصمه الذي تمكن في نهاية المطاف من هزيمة السيد هليارد واسقاطه!

أما في الاجابة على السؤال الذي يقول: من أين يأتي اللوبي بالأموال؟

فالجواب ان مصادر اللوبي الصهيوني المالية تتركز في منبعين:

الأوّل: تبرعات اثرياء الجالية اليهودية، والتي تقدر بمئات الملايين.

الثاني: المساعدات المالية التي تقدمها الولايات المتحدة لدولة اسرائيل والتي تصل إلى ثلاثة مليارات دولار سنوياً. وتقوم اسرائيل بنقل ٢٥٪ من هذه المساعدات فقط إلى اسرائيل وتبقي على ٧٥٪ منها لاغراض شراء الاصوات والذمم ودعم المرشحين المناصرين لها في الانتخابات التشريعية الاميركية.

وقد صدر مؤخراً كتاب عن جامعة هارفارد الاميركية، بعنوان «اللوبي الاسرائيلي والسياسة الخارجية الاميركية»[1] لمؤلفيه وهما الباحثان الاكاديميان البروفسور جون ميرشايمر والبروفسور ستيفن والت.

وقد فضح هذا الكتاب الذي اثار ضجة كبرى في الولايات المتحدة، اساليب اللوبي الاسرائيلي في الهيمنة على السياسة الخارجية الاميركية، وتحويرها بالنحو الذي تريده اسرائيل.

ويذكر الكاتبان ميرشايمر ووالت في كتابهما وقائع مذهلة عن حقيقة التغلغل والسيطرة الصهيونية على القرار والمقدرات الاميركية.

من ذلك، ماذكراه ان مجموع المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى العام ٢٠٠٣ بلغت ١٤٠ مليار دولار اميركي.

وان مساعدات الولايات المتحدة لاسرائيل والتي تبلغ ثلاث مليارات دولار سنوياً تشكل مايزيد على خمس مجموع المساعدات الخارجية التي تقدمها الولايات المتحدة. وان ماتعطيه الولايات المتحدة لكل مواطن اسرائيلي يصل ما

---

(١) The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy, by John J. Mearsheimer and Stephen M.Walt. Farrar, Straus and Giroux; 1st. edition (August 27,2007)

معدله إلى ٥٠٠ دولار سنوياً، علماً ان معدل الدخل الوطني في اسرائيل يصل إلى نفس المعدل في بلد صناعي كأسبانيا وكوريا الجنوبية.

وكدليل على قوة اللوبي الصهيوني ذكرت صحيفة الواشنطن بوست ان المرشحين الرئاسيين الديمقراطيين يعتمدون إلى حد ٦٠٪ من الأموال اللازمة لحملاتهم الانتخابية على اموال المتبرعين اليهود!

ويسرد الكتاب الشيق حقائق مرعبة ومؤلمة عن سيطرة اللوبي الاسرائيلي في اميركا ليس على القرار السياسي بشقيه التنفيذي والتشريعي فحسب، وإنّما سيطرته ايضاً على المؤسسات الاكاديمية العريقة، وعلى الصحافة الوطنية، وعلى شارع وول للمال.

وكل هذه الحقائق المذهلة تشير إلى حقيقة واحدة، هي ان الولايات المتحدة يحكمها الصهاينة، ويقرر سياساتها الخارجية انصار اسرائيل الذين يتلفعون بعباءة المواطنة الاميركية، ويدافعون عن مصالح اسرائيل اكثر من دفاعهم عن مصالح الولايات المتحدة!

والحقيقة فان اللوبي الاسرائيلي يتمتع بكفاءة تنظيمية عالية ودقة في متابعة اجندته السياسية، وهو قادر على تعبئة ستة ملايين يهودي يعيشون في الولايات المتحدة ويقبعون في السلم الاعلى من الهرم الاقتصادي الاميركي، وتحويلهم إلى جنود مخلصين لاسرائيل من خلال برنامج دقيق ومعقد يربط هؤلاء جميعاً بمنظمة ايباك وهي المنظمة الرسمية التي تمثل اللوبي المناصر لاسرائيل.

والواقع فانه لايوجد في الولايات المتحدة عضو كونغرس أو سناتور أو وزير وحتى رئيس الجمهورية إلّا ويخشى سطوة وسيطرة هذا اللوبي. حتى ان منظمة ايباك حين تعقد مؤتمرها السنوي السياسي في واشنطن تجد ان جميع اعضاء

الكونغرس دون استثناء وكذا اعضاء مجلس الشيوخ يهرولون لحضور هذا المؤتمر بمن فيهم العضو المسلم الوحيد.

واتذكّر انه وخلال احد لقاءاتنا مع عضو الكونغرس المسلم السيّد كيث اليسون قام البعض من الحاضرين بتوبيخه على حضوره مؤتمر اللوبي الصهيوني، فأجاب: ماذا تريدون مني ان افعل؟ اتريدونني ان اواصل تمثيل المسلمين في الكونغرس ام تريدونني ان اخسر ما كان يحلم به المسلمون لسنوات طويلة، بأن يكون هناك من يمثلهم في الكونغرس؟

ولقد بلغ من قوة هذا التيار في الولايات المتحدة ان يحوّل حياة من يتجرأ على انتقاد اليهود او اسرائيل إلى جحيم. ولقد اخبرني صحافي متمرس يعمل في صحيفة ديترويت نيوز الاميركية انه كان مسئولاً - ولفترة - عن اخبار الجالية اليهودية، فكان - على حد تعبيره - إذا عطس يهودي كان عليه ان يكتب مقالاً عن ذلك في الصحيفة!

وذكر هذا الصحفي انه وخلال سنوات عمله في الصحيفة لاحظ انه إذا نشرت الصحيفة خبراً فيه ادنى مساس أو نقد لليهود، كان بريد الصحيفة في اليوم التالي يحمل الاف الرسائل الاحتجاجية، وكذا يستلم مقسم الهاتف لدى الصحيفة الاف المكالمات الغاضبة وكلها من اليهود الاميركيين.

ويضيف: ولو كتبنا عن اليهود خبراً فيه ادنى مديح أو إطراء لوجدنا البريد في اليوم التالية يحمل الينا مئات الرسائل التي تكيل لنا المدح والثناء، كما تصلنا مئات المكالمات التي تحمل الاطراء لنا.

ثمّ قال هذا الصحفي وهو يشير إلى حقيقة مؤلمة: اما أنتم المسلمون في الولايات المتحدة فقد تعودنا اننا ان كتبنا عنكم ما يسيئ إليكم فلا تبدون اية ردة

فعل غاضبة، وان مدحناكم لايتصل احد بنا ليشكرنا على موقفنا، فإذا كنتم أنتم لاتهتمون بأمركم وقضاياكم فلماذا نهتم بكم نحن ؟

وقصة هذا الصحفي تبين بأختصار الفرق بين الجالتين اليهودية والمسلمة. الفرق بين جالية قديمة، ثرية، متمرسة، تحسن استخدام قواعد اللعبة، وجالية حديثة، ليست بذاك الثراء، وهي تحاول ان تتعلم قواعد اللعبة !

والحق، فقد برزت في السنوات الاخيرة منظمات اسلامية فتية حاولت، وتحاول ان تتحول إلى لوبي اسلامي يدافع عن قضايا المسلمين ويدافع ايضاً عن حقوقهم وحرياتهم ويحرص على دمجهم في المجتمع الاميركي وتشجيعهم على استخدام اصواتهم الانتخابية، واذكر بالتحديد هنا منظمة كير **CAIR** الاسلامية، وأُثني على جهودها. ورغم ان هذه بدايات متواضعة، إذ لايزال الفرق ساشعاً بين الطرفين، إلّا انها بدايات تبشر بخير، وسأعرض لذلك في الفصل الاخير عند الحديث عن المسلمين في اميركا اليوم، ان شاء الله.

المسيحيّون المتطرّفون

ان المسيحيين المتطرفين هم ثاني القوى المناوءة للاسلام في الولايات المتحدة بعد اللوبي الصهيوني. وهؤلاء يعرفون في الولايات المتحدة بال [Evangelicals]، اي المسيحيين التبشيريين، ولهم ملايين الاتباع الذين يقدر عددهم بخمس وخمسين مليوناً، وهم يقطنون الولايات المعروفة بـ [Christian Belt] أي الحزام المسيحي، وهي ولايات الوسط التي تسكنها اغلبية بيضاء مسيحية. وللمسيحيين التبشيريين نفوذ قوي لدى الادارات الاميركية وخصوصاً الادارات الجمهورية وتحديداً لدى الولاية الجمهورية الحالية، لما لهم من الفضل في اعادة انتخاب الرئيس بوش في الفترة الرئاسية الثانية، حيث اوعزوا إلى اتباعهم بانتخابه في مقابل النفوذ المتزايد الذي حصلوا عليه لدئ الادارة الاميركية.

ومن اهم رموز هؤلاء القس جيري فالويل (الذي توفى العام الماضي ٢٠٠٧) وبات روبرتسون وفرانكلين غرام ابن القس الواعظ المشهور بيلي غرام. وهؤلاء الثلاثة عرفوا بحقدهم وكراهيتهم تجاه الاسلام، هذه الكراهية التي كشفوا عنها بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، ووصموا فيها الاسلام بأنه دين الشر والتطرف والعنف. بل ودعئ بعض هؤلاء إلى ان يلبس المسلمون في الولايات المتحدة شارة تميزهم عن غيرهم من المواطنين كما فعل هتلر باليهود في المانيا!

لا بل قد دعى بعض هؤلاء المسيحيين المتطرفين علانية إلى طرد جميع

المسلمين - بمن فيهم المواطنين - من الولايات المتحدة ونفيهم إلى اوطانهم التي جاؤا منها، كما دعىٰ البعض منهم إلى وضع المسلمين في مراكز اعتقال على غرار ماقامت به الولايات المتحدة تجاه اليابانيين الاميركيين اثناء الحرب العالمية الثانية حين قام سلاح الجو الياباني بضرب واغراق الاسطول السادس الاميركي برمته في ميناء بيرل هاربور في جزر هاواي الاميركية، فقررت على اثر ذلك الولايات المتحدة وضع جميع الاميركيين المنحدرين من اصل ياباني في معسكرات اعتقال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وقد بلغت وقاحة بعض القساوسة المنتمين إلى هذا التيار ان يوجهوا كلمات بذيئة وقاسية ليس ضد الاسلام فحسب بل ضد الرسول الاعظم ﷺ بتسميته تارة بـ«اللص» و «قاطع الطرق» وتارة بإتهامه ﷺ - والعياذ بالله - بكونه معتدٍ على الاطفال جنسياً!

وفي المقابلات التلفزيونية التي اجريت معي حينها، على اثر التصريحات البذيئة، ذكرت ان هذا الكلام والاتهام يكشف ليس عن حقد هؤلاء الدفين تجاه الرسول ﷺ فحسب، وإنّما يكشف ايضاً جهلهم الفاضح، وقلة معرفتهم بالتاريخ، وخصوصاً تاريخ الاديان، ولو كان هـؤلاء ادنىٰ اطلاع على تأريخ الرسول ﷺ والحضارة الاسلامية لما تفوهوا بمثل هذه الكلمات!

ثمّ اضفت: ان امثال هؤلاء ليسوا رجال دين، وإنّما هم تجار يبحثون عن المال والشهرة باسم المسيح عليه السلام، وإلّا فإن رجال الدين الحقيقيين لاينزلون إلى مثل هذا الحضيض مهما بلغ خلافهم مع خصومهم!

والمسيحيون المتطرفون معروفون ايضاً بتأييدهم المطلق لاسرائيل.

المسيحيّون الصهاينة

وهؤلاء هم من غلاة المسيحيين المتطرفين الذين يفاخرون بالحب والولاء لاسرائيل، ورغم الجفاء التاريخي الذي ساد بين اليهود والمسيحيين إلى حد ان المسيحيين تاريخياً كانوا دوماً يلومون اليهود على صلب المسيح عليه السلام، إلّا ان هذه الفرقة من المسيحيين تعلن وبصراحة انها صهيونية وتدعو الاميركيين حكومة وشعباً إلى بذل المزيد من الدعم والتأييد لدولة اسرائيل.

وحجة هؤلاء الحمقىٰ في تأييدهم الاعمى لاسرائيل ان هناك نصاً مزعوماً في الانجيل يشير إلى ان ظهور المسيح عليه السلام لن يكون حتى يتم اعادة بناء الهيكل في بيت المقدس. فهم يحاولون مساعدة اسرائيل في بناء الهيكل كي يعجل ذلك في ظهور المسيح عليه السلام !!

وفي الواقع، إذا تمعنا في السبب الحقيقي لتأييد هؤلاء المهووسين لدولة اسرائيل نجد ان هؤلاء لايؤيدون اسرائيل حباً لها وإنّما يؤيدونها لأن بناء الهيكل سيعجل عودة المسيح عليه السلام الذي سيرغم جميع اليهود حين عودته -كما يعتقد هؤلاء المسيحيون الصهاينة - على اعتناق المسيحية وإلّا فالسيف بانتظارهم!

ولهذا السبب رأيت ان بعض اليهود لايتعاطف مع المسيحيين الصهاينة، بل ان بعض اليهود الاميركيين ينتقدهم علناً ويقول ان تأييدهم لاسرائيل هو لاسباب انانية وليس لاسباب انسانية!

ومن اشهر شخصيات تيار المسيحيين الصهاينة في الولايات المتحدة، قس صهيوني متطرف باسم توم هيغي. وهذا القس اسس منظمة بأسم

[Christians United for Israel] «مسيحيون متحدون من اجـل اسرائـيل» وله مايقرب من مليونين من الاتباع، وله كتب متعددة، وتبث حديثه مرتين يومياً خمس وسبعون محطة اذاعية ومئة وخمس عشرون محطة تلفزيونية، وقد جمـع في السنوات الخمس الاخـيرة مـبلغاً زاد عـلى ثـلاثين مـليون دولار قـدمها هـبة لاسرائيل[١].

والمضحك ان هـذا القسـيس الصهـيوني دخـل في صراع مـع المسـيحيين الكاثوليك متهماً اياهم بمـعاداة السامية وناعتاً للكنيسة الكـاثوليكية بـ«عـاهرة بابل»!! في إشارة إلى انها كنيسة مزيفة![٢].

لابل ان بعض الحاخامات اليهود وهو الحاخام إريك يوفي وجّـه تـوبيخاً وانتقاداً عنيفاً للقس توم هيغي متهماً اياه بأن آرائـه المـتطرفة في تأيـيد اسرائـيل (ومنها رفض القسيس هيغي لفكرة حل دولتين فلسطينية واسرائيلية) ستزيد من عزلة اسرائيل الدولية وسيكون لها اثار كارثية على اسرائيل!![٣] وويل لمـن كفره نمرود! وهنا تذكرت قول الله تعالى في حق اليهود: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[٤]. ومن منجزات هذا القسيس الصهيوني انه قام بحملة منظمة يدعو فيها الحكومة الاميركية إلى قصف المدن الايرانية بالسلاح النووي!

---

(١) جريدة نيويورك تايمز تاريخ ٨ /٤/٢٠٠٨، صA18.

(٢) المصدر ذاته.

(٣) المصدر ذاته.

(٤) سورة الحشر: الآية ٢.

الاعلام المنحاز

ان الاعلام الغربي المنحاز والمناهض للاسلام هو لاشك اقوىٰ القوى المعادية للاسلام واكثرها تأثيراً.

ورغم وجود بعض وسائل الاعلام المنصفة في الغرب بحق الاسلام، او قل متوازنة، إلّا ان هناك صحفاً وقنوات فضائية واذاعية وشخصيات اعلامية كثيرة معادية للاسلام.

ومن اهم القنوات المعادية للاسلام في اميركا هي قناة فوكس نيوز [Fox News] ومن اشهر الصحفيين المعادين للاسلام غلين بيك Glenn Beck وبيل اورايلي Bill O'Reilly والمذيعان: هانيتي وكولمز Hannity & Colms ودانيل پايپس Daniel Pipes والكاتب الصهيوني في جريدة نيويورك تايمز وليام سافير William Safire وغيرهم...

والواقع فان اسباب معاداة الاعلام المناهض للاسلام، تتلخص في سببين رئيسين:

١ - عقائدي: فان كثيراً من الصحفيين يعيش عقدة الاسلام ويحمل بداخله - لسبب أو لآخر - حقداً دفيناً تجاه الاسلام والمسلمين. وهؤلاء ان فتشت في تأريخهم فستكتشف انهم على الاغلب اما ينتمون إلى القوة الأولى المناهضة للاسلام، آي انهم يهود صهاينة أو انهم ينتمون إلى القوة الثانية المناهضة للاسلام، اي انهم مسيحيون متطرفون بلغ بهم الحقد الاعمى تجاه الاسلام ان يتخذ الواحد منهم من وظيفته كاعلامي، وسيلة لطعن الاسلام، واشفاء غليله!

٢ - تجاري: ان المشاهد الاميركي - شأنه شأن أي مشاهد آخر - ينشدّ إلى مشاهدة الإثارة، وتستهويه الاخبار المضخّمة التي تقصف عينه وسمعه بمشاهد العنف والانفعال. ومن هنا نجد ان الصحافة الاميركية المناهضة للاسلام تجد في مناظر ومشاهد العنف التي يمارسها بعض المتطرفين في العالم الاسلامي وسيلة لتحصيل المال من خلال تركيزها على هذه المشاهد بشكل مبالغ فيه ومن ثمّ ربطها بالاسلام، وبالتالي محاولة الحصول على اكبر قدر من المشاهدين، لأن ذلك سيضمن لهذه الصحافة اكبر قدر من المال والدخل!

ومن أجل أن يأخذ القارئ الكريم فكرة عن الطريقة التي يعمل فيها الاعلام الغربي، ومدىٰ التأثير العميق، بل المدمر احياناً، الذي يخلفه في نفوس الناس وعقولهم، اقدم للقارئ القصة التالية:

رویٰ صديق، وهو طبيب يعيش في احدى مدن ولاية كاليفورنيا، انه وفي عقد الثمانينات وتحديداً بعد تفجير السفارة الاميركية في بيروت ومقر المارينز قامت احدى محطات البث التلفزيوني الاميركي وهي محطة ABC ببث تقرير ودراسة عما سمي في حينه في الاعلام الغربي بـ«الارهاب الشيعي» إذ اتهم الشيعة بتدبير الحادثين. وفي التقرير الذي يستضيف باحثاً يهودياً، يقوم الباحث اليهودي بتعريف الشيعة كالتالي:

هم فرقة اسلامية عنيفة معارضة، تسعى جاهدة ان تعارض انظمة الحكم والخلافة الاسلامية، فإن تمكّنت هذه الفرقة من قهر خصومها بالسيف وإلّا عمدت إلى ضرب نفسها بالسيف!!

ثمّ يقرن الباحث اليهودي مزاعمه هذه بمشاهد من التطبير من مدينة النبطية في لبنان، حيث يبدو المطبّرون وهم غارقون بالدماء بعد اداء طقوس التطبير يوم

عاشوراء.

ويضيف هذا الصديق الطبيب انه وفي اليوم التالي لبث هذه المشاهد والتعريف السقيم عن الشيعة، توجه إلى عيادته ليكتشف ان احدى العاملات في العيادة والتي كان مضى على عملها في عيادته ما يزيد على ستة أعوام انها لم تداوم ذلك اليوم في العيادة، وظن الطبيب في البداية ان الموظفة هذه انما عاقها المرض عن العمل فاتصل بها مباشرة ليطمئنّ عليها، وحين سألها عن اسباب تغيبها قالت:

لقد اخبرتني يا دكتور قبل فتره بانك مسلم شيعي، وحتى يوم امس لم اكن اعرف عنك انك قد تكون خطراً، وحين رأيت برنامج الـ ABC عن الشيعة يوم امس، استشعرت بالخطر بعدها بالمجيء إلى عيادتك خوفاً من ان تقوم يوماً بقتلي بالسيف!

وبتأثير مباشر من الاعلام الاميركي المعادي للاسلام، وبسبب مواصلة هذا الاعلام لحملته المسعورة ضد الاسلام، نجد اعداداً متزايدة من الاميركيين باتت متأثرة بسموم هذا الاعلام الذي يحرص على نشر مابات يعرف اليوم بال **[Islamophobia]** أي الخوف من الاسلام.

وقد نشرت صحيفة الواشنطن بوست في العام ٢٠٠٦ استطلاعاً أجري في الولايات المتحدة تبين ان ٤٦٪ من الاميركيين يحملون افكاراً سلبية عن الاسلام[1]، وفي استطلاع آخر لمؤسسة غالوب، تبيّن ان نسبة ٢٣٪ من الاميركيين لايرغب ان يعيش بجوار مسلم[2]!

---

(١) صحيفة الواشنطن بوست، بتاريخ ٩ مارس ٢٠٠٦.

(٢) راجع الموقع:

gallup.com/poll/24573/AntiMuslim-Sentiments-Fairly-Commonplace.aspx

ولربما كانت اخر الحملات المسعورة، التي كشف فيها الاعلام المعادي للاسلام حقده الدفين تجاه الاسلام، هي الحملة الشرسة التي يتعرض لها اليوم المرشح الديمقراطي للرئاسة الاميركية باراك اوباما، بحجة انه ينحدر من اصول اسلامية.

ورغم ان اوباما انكر بشدة ان يكون مسلماً، وهو المسيحي المعروف بتردده على احدى الكنائس المسيحية في ولاية إلينوى، ورغم علاقته مع القسيس جرمايا رايت إلّا ان ذلك لم يمنع خصومه من مواصلة حملتهم المسمومة ضده لأن اوباما حتى الآن لم يعلن براءته وكراهيته للاسلام والمسلمين! وهو لم يشتم جديه المسلمين في كينيا ولم يلعن زوج امه المسلم الاندونيسي!

وحين تم لقاء خاص بيني وبين السناتور اوباما اثناء الحملة الانتخابية، ثارت ثائرة الاعلام المعادي للاسلام، ليتخذ من هذا اللقاء دليلاً اخر على «جذور اوباما الاسلامية» وعلى «تعاطفه وتنسيقه مع المسلمين»!!

الفصل السابع

آفاق الدعوة

١ - الاسلام في اميركا اليوم

٢ - مسلمو اميركا والمؤسسات الاكاديمية

٣ - المسلمون والحياة العامة الاميركية

٤ - واخيراً



الاسلام في اميركا اليوم

ينقسم المسلمون في الولايات المتحدة والذين يقدر عددهم بستة ملايين مسلم[1] مذهبياً إلى ثلاث طوائف رئيسية:

١ - المسلمون السنة: وهم يشكلون اكثرية المسلمين في الولايات المتحدة، كما هو الحال في العالم الاسلامي، حيث يشكلون الاكثرية العددية. وهم يديرون مئات المساجد والمراكز الاسلامية في الولايات المتحدة، ولا تخلو مدينة كبيرة أو صغيرة في الولايات المتحدة من مسجد، أو اكثر، للاخوة السنة، وفيهم ناشطون كثر، واكثر مايعجبني لدى الاخوة السنة في الولايات المتحدة اهتمامهم وتركيزهم على الدعوة الاسلامية وانشاءهم لبرامج مخصصة من اجل هذا الهدف. وارى امامي عدداً من المطبوعات، قامت بها جهات اسلامية سنية بهدف تعريف الاسلام لغير المسلمين، وتوفير الفرصة للكثير من الاميركيين المتعطشين، ليتعرفوا على الاسلام وحضارته...

كما ان كثيراً من الاخوة السنة ينشطون في مجال الدعوة الاسلامية في السجون الاميركية، إذ يتحول - ونتيجة لجهود هؤلاء الاخوة - الكثير من السجناء الاميركيين إلى الاسلام، ويعتنقونه بينما يقضون عقوبة السجن، ويتحول بعض هؤلاء السجناء بنفسه إلى داعية اسلامي بعد خروجه من السجن!

كما يعجبني لدى الاخوة السنة التزامهم بصلاة الجماعة، إذ تبقى مساجدهم

---

(١) راجع cair.com.

ومراكزهم مفتوحة لاستقبال المصلين حيث تقام صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم!

ومن اهم الشخصيات الاسلامية السنية العاملة على الساحة الاميركية هم الدكتور ماهر حتحوت ومزمل صديق، والشيخ حمزة يوسف، والشيخ زيد شاكر، والشيخ سراج وهاج، والشيخ وارث محمّد، والشيخ يحيى الهندي، وغيرهم.

٢ - المسلمون الشيعة: ونسبتهم في الولايات المتحدة هي كنسبتهم في سائر العالم الاسلامي. إذ تصل إلى ٢٠٪ من مجموع المسلمين في الولايات المتحدة، منتشرون في سائر الولايات المتحدة ولديهم مساجد ومراكز في اكثر المدن الرئيسية الاميركية، وبعض هذه المدن مثل ديترويت يصل فيها عدد المراكز الاسلامية الشيعية إلى عشر مراكز، وفي لوس انجلس إلى اثني عشر مركزاً.

ولرب اهم مايميز الطائفة الاسلامية الشيعية في الولايات المتحدة اليوم هو وجود عدد هائل من الشباب الملتزم الذي يعيش الصحوة الاسلامية والعودة إلى الذات.

واتذكر انني حين قمت بتحمل اعباء المسؤولية الدينية في المركز الاسلامي في اميركا - ديترويت ربيع ١٩٩٧، كنت الاحظ تغيب الشباب عن المركز وبرامجه الدينية، ثمّ قمت بأنشاء رابطة الشباب المسلم **Young Muslim Association** في العام ١٩٩٨ وبدأتُ بإقامة برامج دينية باللغة بالانكليزية مخصصة للشباب، فلاحظت، وخلال فترة قصيرة، اقبالاً هائلاً من طبقة الشباب. وارتفع عدد الحضور من الشباب من ٤٠٠ شخص إلى مايقرب بالالف. واصبح لهؤلاء الشباب انشطة دينية وثقافية، واجتماعية وانسانية، فمن اصدار فصلية مرموقة باللغة الانجليزية باسم الصراط **Straight Path**، إلى برامج تلفزيونية، ومن تنظيم حملة

للحج سنوياً يشارك فيها ما يقرب من خمسين شاباً وشابة، إلى اقامة مخيم صيفي يشارك فيه المئات من الشباب، يتعلمون اثناءه العقائد الاسلامية والاحكام الشرعية وعلوم القرآن.

وينتمي اكثر الشباب المسلم الشيعي إلى الطبقة المثقفة. وفيهم خريجون لاعرق الجامعات الاميركية، وفيهم اطباء ومحامون ومدراء تنفيذيون لشركات مرموقة، كما فيهم موظفون في وزارات الخارجية والعدل وغيرها... وهناك من يعمل مديراً لاعمال بعض اعضاء الكونغرس الاميركي.

والحق، فان اثار الصحوة الاسلامية المعاصرة والتي كان رائدها الإمام الخميني والثورة الاسلامية عام ١٩٧٩، لم تقتصر على المعسكر الشيعي فحسب وإنّما انتقلت إلى المعسكر السني ايضاً. إذ ينخرط كثير من شباب السنة في الولايات المتحدة في مختلف الانشطة الاسلامية، ويبدون اعتزازهم بهويتهم الاسلامية ايما اعتزاز!

ومن ابرز الشخصيات الاسلامية الشيعية العاملة في الولايات المتحدة اليوم الشيخ فاضل السهلاني والشيخ عبد اللطيف بري والشيخ محمّد عليّ برو والشيخ محمّد علي الهي والشيخ هشام الحسيني والسيّد مصطفى القزويني والسيّد محمّد القزويني والسيّد عليّ القزويني، والسيّد زكي السويج والسيّد طالب الرفاعي.

٣ - الصوفية: وهي ثالث المذاهب الاسلامية المنتشرة في الولايات المتحدة، ولها انصار ومريدون كثر في الولايات الاميركية، وكثير من الصوفيين هم من الاميركيين البيض الذين وجدوا في الصوفية بغيتهم، خصوصاً وانّا قد ذكرنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب ان المسيحية تعيش حالة خواء وفراغ، ممّا شجع كثيراً من المسيحيين عن التخلي عن دينهم والبحث عن بدائل اخرى. وبما ان

الصوفية لاتخوض غمار السياسة اطلاقاً، وليس لديها نشاط رسمي ومدوّي كما هو الشأن في عامّة المراكز الاسلامية السنية والشيعية، فهي لاتثير حفيظة الاعلام الغربي الذي لايرى فيها تهديداً لنمط الحياة الاميركية وعقيدتهم، ولا يبدي حساسية مفرطة تجاه الصوفية، كما يبدي تجاه سائر المذاهب الاسلامية الاخرى.

اضف إلى ذلك، فان تركيز الصوفية على الجانب الروحي الصرف وعلى تجلي العلاقة التي تربط العبد بربه وعدم ايلاءها للممارسات العبادية العامّة اهمية كبرى، جعلها محببة لدى بعض الاميركيين الذين عاشوا حضارة ملؤها الطقوس الدينية، وهم يبحثون عن نمط جديد من الروحية اليوم، تملأ فراغهم الروحي، وتعفيهم في ذات الوقت من الممارسات العبادية التي يستثقلها البعض منهم.

وللصوفية في الولايات المتحدة مراكز ومجلات وانشطة، ويعد الشيخ محمّد هشام قباني احد أهم دعاتهم اليوم.

المسلمون...إثنياً

هذا كله على مستوى المذاهب الاسلامية الناشطة في الولايات المتحدة، اما من الناحية الاثنية والعرقية فينقسم المسلمون إلى فئتين رئيسيتين:

١ - السكان الاصليون [Indigenous]: وهو مصطلح يشار به عموماً إلى المسلمين الاميركيين الافارقة (السود)، وهم يقدر عددهم بنصف عدد المسلمين في الولايات المتحدة، تقريباً.

ولقد اعتنق كثير من السود في الولايات المتحدة الاسلام نتيجة الاضطهاد والتمييز العنصري الذي عاشوه في الولايات المتحدة طيلة قرون، فوجدوا في الاسلام ملجأً ومتنفساً، وعقيدة لاتميز بين اسود وابيض، وتبشر بأن لا فضل

لعربي على أعجمي إلّا بالتقوى، وان الناس سواسية كسواسية المشط، كلهم لآدم وآدم من تراب. فأعتنقوه واحبوه وانصهروا في بوتقته واصبحوا من اهم دعاته، كالشيخ سراج وهّاج وعبد العليم موسىٰ وغيرهم من الوّعاظ المسلمين السود.

والمسلمون السود ينقسمون ايضاً إلى فئتين رئيسيتين:

أ - اتباع امة الاسلام [Nation of Islam] والتي يقودها اليوم لويس فرقان. وهذه الجماعة ظهرت في ثلاثينات القرن الماضي، حين ادعىٰ اليجا محمّد ان الوحي قد نزل عليه ليقود افارقة الولايات المتحدة ويوحدهم تحت لواء واحد. وكان اليجا محمّد يتحدث عن الاسلام كدين، ولكنه اصبح يدعي انه مبعوث ضمن رسالة الاسلام، وكان من ابرز تعاليمه معاداة البيض والتزام فوقية العرق الاسود. وهذا المبدأ حمله خليفته اليوم لويس فرقان. فهو بالاضافة إلى معاداته اليهود والصهاينة يعادي علناً البيض ويلقي عليهم اللوم لما حلّ بالسود من اضطهاد طوال قرون. ويرى لويس فرقان ان الابيض شرير بطبعه، وهو لا يوجّه خطابه للبيض ولايحاول ابداً استمالة ودهم رغم انه خطيب لبق ومفوّه ويهز مشاعر سامعيه ويسحر اذانهم وقلوبهم بمنطقه وحديثه الجذاب.

ولويس فرقان، كما عرفته عن قرب - إذ التقيت به اكثر من مرة، وحل ضيفاً في المركز الاسلامي ذات مرة - هو رجل ذو كاريزما طاغية، وطموح كبير. فهو يطمح ان يصبح الزعيم الاوحد للسود في الولايات المتحدة. وتمكّن من ان يستعرض قوته حين دعا إلى مظاهرة المليون شخص والتي انطلقت من كل انحاء الولايات المتحدة لتنتهي امام البيت الابيض عام ١٩٩٥، ليخطب فيها لويس فرقان خطاباً تاريخياً يعيد للاذهان معاناة السود واضطهادهم على يد البيض، باعثاً الامل في نفوس السود لكي يتوحدوا تحت راية واحدة.

وفي ستينات القرن الماضي قام احد ابرز شخصيات امة الاسلام وهو مالكوم إيكس والذي كان يعد من اهم دعاة هذه الفرقة وكان السبب الرئيس في اعتناق بطل الملاكمة العالمي محمّد علي كلاي للاسلام، قام بزيارة المشاعر المقدسة في مكّة والمدينة وأداء فريضة الحج. وهناك اطلع على تعاليم الاسلام، وعرف ان الاسلام يدين العنصرية ضد أي كان، وان الاسلام حين يرفض ظلم السود، يعارض ايضاً معاداة البيض لمجرد انهم بيض، وعند عودة مالكوم إيكس إلى الولايات المتحدة اعلن انفصاله رسمياً عن «امة الاسلام» واعلن ايضاً انتمائه إلى الأمة الاسلامية الكبرىٰ، فكان ان تم اغتياله ﷺ.

ب - وحين توفى زعيم «امة الاسلام» أليجا محمّد في اواخر السبعينات، تولى لويس فرقان خلافته في المنظمة، في حين انشق نجل اليجا محمّد، وهو الإمام وارث الدين محمّد عن هذه المنظمة واندمج مع سائر المسلمين وتخلىٰ ايضاً عن افكاره المعادية للبيض، كما صنع المرحوم مالكوم إيكس. واليوم يحتل الإمام وارث الدين محمّد مكانة مرموقة بين المسلمين السود الذين لاينضوون تحت لواء «امة الاسلام» وبين اتباعه واتباع خليفة والده، لويس فرقان منافسة شديدة.

٢ - المهاجرون **Immigrants**: وهم المسلمون الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة من مختلف بلدان العالم الاسلامي طيلة العقود الماضية، وكانت هجرتهم للولايات المتحدة اما إقتصادية بهدف الحصول على فرص عمل افضل وحياة مستقرة ورخاء إقتصادي لهم ولابناءهم، أو سياسية، كالذين هاجروا إلى الولايات المتحدة نتيجة الاضطهاد، والتمييز الذي يلاقونه في بلدانهم الاصلية.

وبما ان المهاجرين المسلمين هم في الاعم الاغلب يحملون كفاءات مهنية عالية، إذ فيهم اطباء ومهندسون وعلماء، وهو مايصطلح عليه «هجرة الادمغة»

فان المهاجرين المسلمين كانوا الاقدر - مقارنة بالمسلمين الاصليين - على تمويل المشاريع الاسلامية في الولايات المتحدة كالمراكز والمساجد والمدارس الاسلامية. خصوصاً وان المسلمين الافارقة الاميركيين يعانون من سوء الاحوال المعيشية ويقفون في السلم الادنى للمجتمع الاميركي من حيث الدخل.

ورغم ان التمايز بين «المهاجرين» و «السكان الاصليين» ليس بارزاً للعيان بشكل ملحوظ، إلّا ان اكثرية المراكز والمؤسسات الاسلامية تدار من قبل المهاجرين وليس السكان الاصليين.

وينحدر المهاجرون المسلمون في الولايات المتحدة من اصول شتى، ففيهم المهاجرون من الهند، وباكستان، وافغانستان، وايران، والبانيا، وكوسوفو وتركيا والعرب بمختلف جنسياتهم اللبنانية والعراقية واليمنية والمصرية والفلسطينية والسورية.

وتشير الدراسات التي اجريت في الولايات المتحدة والتي استطلعت احوال المهاجرين المسلمين انهم يقفون في الدرجة العليا من سلم الطبقة المتوسطة الاميركية، وانهم يحققون دخلاً اكبر من المعدل العام الاميركي، وان المهاجر المسلم يحمل تعليماً اكاديمياً يفوق ايضاً المعدل العام الاميركي، وهذه كلها دراسات مشجعة تبشر بمستقبل واعد للمسلمين في الولايات المتحدة باذن الله.

ولكن يؤسفني ان اقول ان بعض المسلمين حمل معه من بلاده مهاجراً إلى الولايات المتحدة، بالاضافة إلى تفوقه العلمي والمهني، حمل معه ايضاً خلافات قديمة اكل عليها الدهر وشرب وجاء بعقلية صدامية ترغب في اقصاء الآخر، ولاتتمكن من التعايش مع الاخرين، وتحاول الظهور والتصدر بأي ثمن كان، ولو على حساب مصلحة الجالية، على طريقة «قومي رؤس كلهم أرأيت مزرعة

البصل»؟!!

وهذا هو السر في فشل العديد من المنظمات الاجتماعية والسياسية للمسلمين الاميركيين والتي برزت في الاونة الاخيرة، او قل على الاقل انها غير مؤثرة. فبعض هذه المنظمات تسيطر عليها العقلية الإقصائية، واصحابها لايجيدون فن المساومة التصالحية [Compromise]، بل يريدون فرض وجهات نظرهم على الاخرين بالقوة، وهم بعد لم يتكيفوا مع الانظمة الديمقراطية التي تحكم كل المؤسسات والمنظمات العاملة في الولايات المتحدة، والتي تعد بحق بلداً مؤسساتياً، تدار المؤسسات فيها بطريقة المشاركة والتصويت على القرارات بالاغلبية.

ويؤسفني ايضاً ان اقول ان بعض هؤلاء يحاول «اختطاف» المؤسسة التي يعمل فيها لتتحول إلى اداة تنفذ طموحاته الشخصية في تحقيق الزعامة، بدلاً من أن يكون هو نفسه اداة لتحقيق طموحات الجالية وتطلعاتها.

مسلموا أميركا والمؤسّسات الأكاديميّة

لقد نفذ المسلمون في اميركا بحق، خطوة جبارة حين شجعوا ابناءهم على الالتحاق بالجامعات والمؤسسات الاكاديمية في الولايات المتحدة. وتعتبر اميركا البلد الذي يحوي اكبر عدد من الجامعات والكليات في العالم، إذ يصل عدد الجامعات والكليات في الولايات المتحدة الى قرابة الاربعة الاف[١]. وحسب احدى الصحف الاميركية المرموقة وهي صحيفة نيويورك تايمز فان عدد الطلاب المسلمين في الجامعات والكليات الاميركية لم يزد على نسبة ١٪ من مجموع الطلاب، في العام ١٩٧٤، ولكن وبعد مايقرب من ٢٦ سنة وتحديداً في العام ٢٠٠٠ بلغت نسبة الطلاب المسلمين في الجامعات والكليات الاميركية ١١٪ من مجموع الطلاب[٢]، وهي نسبة تعد كبيرة بكل المقاييس خصوصاً إذا علمنا ان نسبة المسلمين في الولايات المتحدة لا تزيد على ٢ أو ٣٪ في افضل الاحوال.

ولقد اصبح منظر الفتاة المسلمة المحجبة مألوفاً جداً في الجامعات والمعاهد الاكاديمية الاميركية، والتي قام كثير منها بمنح الطلبة المسلمين الدارسين فيها قاعة مخصصة للصلاة، كما ادخلت تعديلات كبيرة على لائحة الطعام لديها، لتضيف إلى لائحتها اللحم الحلال.

ويوجد تقريباً في كل جامعة ومعهد اكاديمي اميركي فرع من فروع منظمة

---

(١) NationalCenter of Education Statistics [nces.ed.gov].

(٢) صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ١٣ فبراير ٢٠٠١.

الطلبة المسلمين [MSA]، والتي تنظم شئون الطلبة المسلمين، وتتبنى اقامة المناسبات والندوات التي يتم من خلالها دعوة متكلمين وضيوف للتعريف بالاسلام إلى الطلبة غير المسلمين. وقد كنت شخصياً ضيفاً لدى هذه المنظمة التي دعتني للحديث في الحرم الجامعي عن الاسلام، وشخصية الرسول ﷺ، إلى جمهور جلّه من الطلبة غير المسلمين...

وقد لاحظت اثناء زيارتي للمؤسسات الاكاديمية والجامعات في الولايات المتحدة تأثر كثير من الطلاب غير المسلمين بزملائهم من المسلمين، واعتناقهم بالتالي للاسلام، فخلصت إلى ان الجامعات الاميركية تحول كثير منها إلى بيئة خصبة لتعريف الاخرين بالاسلام، ونشر رسالة هذا الدين الحنيف.

ويفاخر المسلمون في الولايات المتحدة اليوم بأن لديهم جيلاً من الاساتذة الباحثين الكبار والذين تخصصوا في الاسلام، ويدّرسون في مراكز الدراسات الشرقية والاسلامية والتي تديرها الجامعات والمعاهد الاكاديمية الاميركية المرموقة. واقدم للقاري قائمة باسماء بعض اكثر الاسماء اللامعة في هذا المجال: د. حسين نصر (جامعة جورج واشنطن) د. خالد ابو الفضل (جامعة ييل) د. محمود ايوب (جامعة تمپل) د. حسين مدرسي (جامعة برنستون)، د. عبد الحكيم جاكسون (جامعة ميشغن –ان آربر) د. حامد الكار (جامعة كاليفورنيا –بيركلي) د. لياقت تكيم (جامعة دنفر – كولورادو)، د. عبد العزيز ساشدينا (جامعة فيرجينا) د. انغريد ماتسون (جامعة هارتفورد)، د. شريف بسيوني (جامعة دي پال)، د. مقتدر خان (جامعة ديلاوير)، ود. سليمان نيانغ (جامعة هاورد).

كما يقتضي ان انوه بالدور الكبير والخدمة العظمى التي قدمها للاسلام عدد من الباحثين والاساتذة الذين لايعدون رسمياً في عداد المسلمين ولكنهم متعاطفون

اشد التعاطف مع الاسلام، وذلك من خلال البحوث والدراسات والمحاضرات التي قدموها حتى الآن وعلى رأس هؤلاء البروفسور جون اسبوزيتو رئيس مركز الحوار الاسلامي المسيحي في جامعة جورج تاون، والذي كتب مايزيد على ٢٠ كتاباً عن الاسلام حتى الآن، وكذا البروفسور هوان كول من جامعة ميشغن -ان آربر، والراحل الكبير البروفسور ادوارد سعيد. بل قد تحول بعضهم إلى مدافع شرس عن الاسلام في الصحافة الاميركية كما هو الحال مع الدكتور جون اسبوزيتو.

المسلمون والحياة العامّة الاميركية

بعد جهود جبارة ومضنية وبعد انتكاسات مريرة، تمكن المسلمون اخيراً من اقتحام الكونغرس الاميركي من خلال انتخاب اول عضو مسلم فيه وهو السيّد كيث اليسون في عام ٢٠٠٦، بعد مرور على مايزيد على مئتي عام على انشاء الكونغرس الذي ظل عصياً على المسلمين.

والطريف في الأمر، ان السيد كيث اليسون قام بإحداث ضجة كبيرة في الولايات المتحدة حين اصر على انه لن يؤدي اليمين الدستورية التي يجب اداؤها على كل عضو جديد يدخل الكونغرس، إلّا على نسخة من القرآن الكريم، بدلاً من الانجيل.

وهنا قامت قيامة المتطرفين في الولايات المتحدة الذين حاولوا ان يصموا السيد كيث اليسون بالتطرف ويتهموه بأنه يريد تحويل اميركا إلى دولة اسلامية، لأنه يريد القسم على كتاب لاتعترف به اميركا. فما كان من السيد كيث اليسون إلّا ان باغت خصومه بأنه سيؤدي اليمين الدستورية على نسخة من القرآن الكريم تعود في الاصل إلى السيّد توماس جيفرسون احد الرؤساء الاميركين السابقين، ومن الاباء المؤسسين لدولة اميركا، واحد كتاب الدستور الاميركي. وكان الرئيس توماس جيفرسون يحتفظ بهذه النسخة حين تدوينه للدستور الاميركي، الذي يفاخر به كل مواطن اميركي. وكشفت الحقائق التاريخية ان توماس جيفرسون كان يعد القرآن الكريم احد المصادر التي استق منها الدستور الاميركي، ومن ثم قام باهداء هذه النسخة مع مكتبته الشخصية إلى مكتبة

الكونغرس الاميركي.

وفي هذا العام ٢٠٠٨ تمكن عضو مسلم اخر وهو السيّد اندريه كارسون من دخول الكونغرس ليصبح ثاني عضو مسلم يقتحم الكونغرس الاميركي.

أما في ولاية ميشغن، فقد تمكنت المسلمة السيدة شارلين الدر في العام ٢٠٠٦ من ان تصبح اول قاضية مسلمة يتم تعينها في الولايات المتحدة، إذ اتخذت جنيفر غرانهولم حاكمة ولاية ميشغن قراراً بتعيين السيدة شارلين الدر - وهي فتاة مسلمة اصلها من جنوب لبنان، ومن رواد المركز الاسلامي - اول قاضية مسلمة يتم تعيينها من قبل حاكم ولاية اميركي. ثمّ تلا ذلك، ان قام المواطنون الاميركيون في مدينة ديربورن بانتخاب الحاج ديفيد طرفة قاضياً في محاكم ديربورن، ليصبح ثاني قاضٍ مسلم يتم إختياره في غضون عام واحد. والشاب الحاج ديفيد طرفة ينحدر من اسرة لبنانية جنوبية كريمة، وهو ملتزم دينياً وعضو في هيئة امناء المركز الاسلامي.

كما اختار المواطنون عام ٢٠٠٢ في مدينة وين [Wayne] بولاية ميشغن السيد عبد الحسين هيدوس ليصبح عمدة هذه المدينة ورئيس بلديتها. والسيد هيدوس هو رجل طيب من جنوب لبنان ايضاً ومن رواد المركز الاسلامي.

وانا على يقين تام إنّ المستقبل سيكون زاهراً بالنسبة للمسلمين في هذه البلاد وسيتمكن المزيد من المسلمين الاميركين من اقتحام الحياة العامة الاميركية، ليثبتوا للعالم وللمواطنين الاميركيين ان الاسلام في اميركا اصبح قوة لايستهان بها، وان المسلمين تحولوا إلى رقم صعب في الحسابات الاميركية. إذ يدأب الكثير من المسؤولين والمرشحين والساعين إلى المناصب العامّة في الولايات المتحدة إلى زيارة الجاليات الاسلامية وخطب ودها املاً في الحصول على اصوات المسلمين.

وأخيراً

لقد حقق المسلمون طفرة في تاريخهم القصير في الولايات المتحدة. واقول القصير، لأن الاسلام ربما يكون احدث الاديان التي انتقلت إلى الولايات المتحدة، مقارنة بسائر الاديان والمذاهب الاخرى. وكان يطلق في السابق اسم المحمّديين [Mohamedeans] على المسلمين، اما اليوم فلايتحدث مسؤول كبير عن المسيحية واليهودية إلّا ويذكر مع ذلك الاسلام، ولايذكر كتاب مدرسي الكنيسة والكنيس إلّا ويذكر المسجد إلى جانبهما.

واصبح التقويم الرسمي الاميركي يعترف بـ «رمضان» و«عيد الفطر» و «عيد الاضحى» و «عاشوراء».

ولقد ازداد عدد المراكز والمساجد زيادة كبرى في السنوات العشرين الاخيرة، مايكشف حجم التطور الهائل الذي طرأ على جسد المسلمين في الولايات المتحدة. فبعد ان كان عدد المراكز والمساجد الاسلامية في كل الولايات المتحدة لايتجاوز عدد الاصابع اصبح الآن عدد المراكز الاسلامية والمساجد يفوق الألف وخمسمائة[1] منتشرة في كل انحاء الولايات المتحدة.

وبعد ان لم تكن اميركا تعرف ظاهرة المدارس الاسلامية كاملة الدوام، اصبحت هناك اكثر من مئتي مدرسة اسلامية كاملة الدوام، ناهيك عن أكثر من خمسمائة مدرسة ليوم الأحد[2].

---

(١) موقع وزارة الخارجية الاميركية [usinfo.state.gov] US Dept of State

(٢) هذا كله بحسب إحصاء العام ٢٠٠١ م، راجع:

Soundvision.com/info/yearinrenew/2001/profile.asp

وبعد ان كان القليل جداً من المسلمين يقوم باداء فريضة الحج، حيث ادى هذه الفريضة في العام ١٩٦٤ ثلاثون مسلماً اميركياً فقط، اصبح عدد الحجاج الاميركيين الذين يقومون باداء هذه الفريضة في السنوات الاخيرة يزيد على عشرة آلاف حاج[1]!

وقد ابلغني أحد المسئولين في منظمة **Cair** الاسلامية الناشطة في الولايات المتحدة، ان مجموع تبرعات المسلمين الاميركيين إلى دور العبادة والاغراض الخيرية بلغت الملياري دولار سنوياً، ممّا يكشف ايضاً عن الطفرة الاقتصادية التي مرت بها الجالية المسلمة الاميركية.

وإذا اضفنا إلى كل ماسبق اعداد الالاف من غير المسلمين الذين يعتنقون الاسلام سنوياً في الولايات المتحدة، سنكتشف ان الاسلام قد تحول إلى قوة ضاربة لايستهان بها في هذا البلد، وهذه القوة آخذة بالنمو شيئاً فشيئاً، رغم انف الحاقدين والحاسدين.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2]. واني على ثقة تامة بأن الاسلام سينتشر لا بقوة السيف، بل بقوة الكلمة والمنطق في الغرب عموماً وفي الولايات المتحدة تحديداً، وسيسطع نجم الاسلام في الغرب، كما سطع نجمه في الشرق اولاً، وفي ذلك تحقيق لنبوءة القرآن الكريم: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**[3].

---

(١) راجع cair.com

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٣.



المحتويات

الفصل الثاني: اهداف الدعوة الإسلاميّة في الغرب

الفصل الثالث: شروط الدعوة

الفصل الرابع : شروط الداعية

الفصل الخامس : ادوات الدعوة

الفصل السادس : القوىٰ المناهضة للدعوة الإسلاميّة

الفصل السابع : آفاق الدعوة